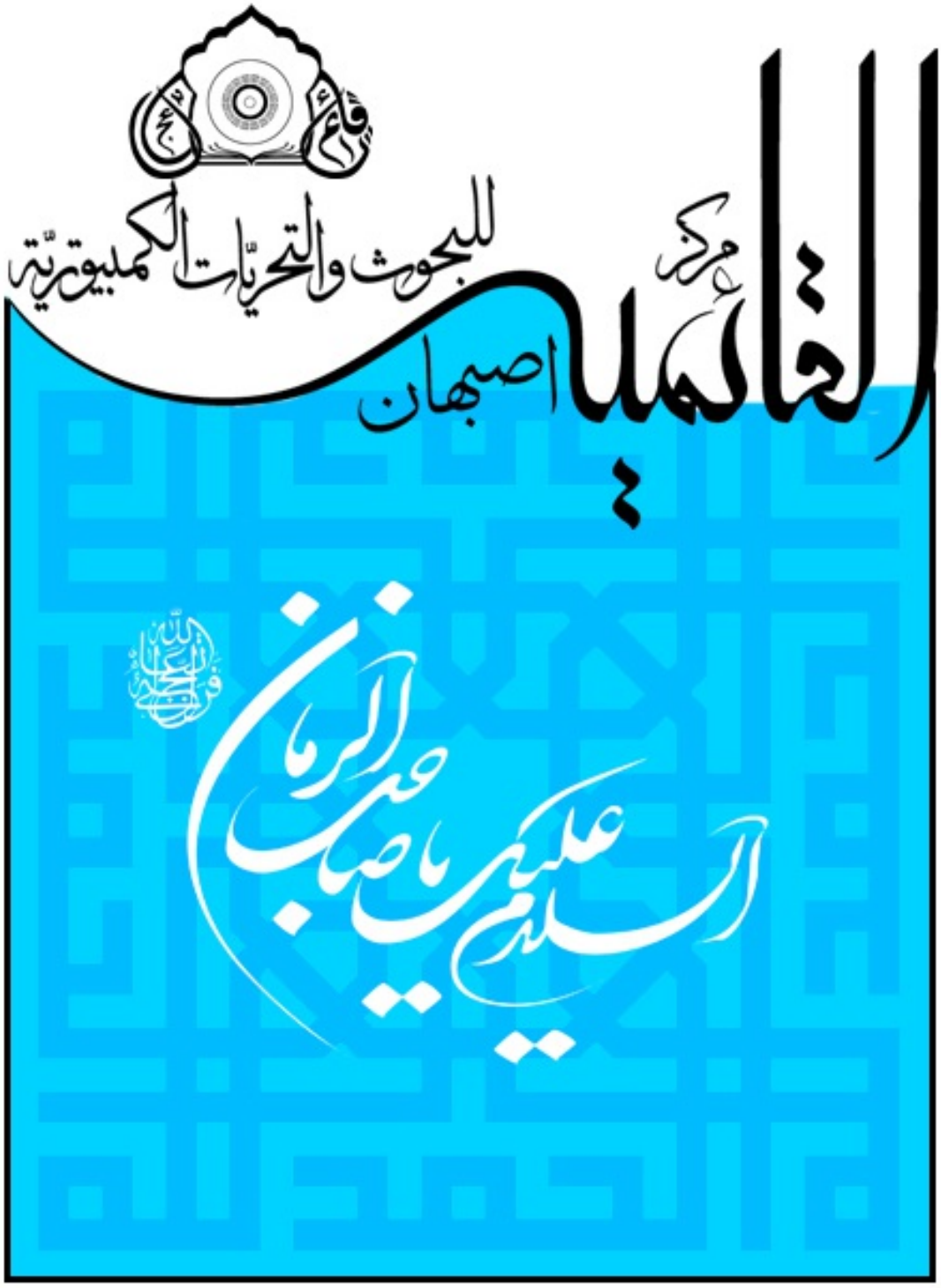

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

على مائدة العقيدة

١٣

الحياة البرزخية

بحث عن امتداد حياة الإنسان بعد الرحيل
من الدنيا وان له من الشؤون ما للموجود الحي
في ضوء الكتاب والسنة والعقل المجرد.

جعفر السبحاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحياه البرزخيه : تبحث عن امتداد حياه الانسان بعد الرحيل من الدنيا ...

كاتب:

جعفر سبحانى

نشرت فى الطباعة:

معاونية شوون التعليم و البحوث الإسلامية فى الحج

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
الحیاه البرزخیه ----- ۸
اشارة ----- ۸
اشارة ----- ۸
المقدمة ----- ۱۱
تقدیم ----- ۱۴
ابن تیمیّة وأثر منهجه فی العقیدة والشریعة ----- ۱۴
الفصل الأول حقیقة الإنسان، روحه ونفسه ----- ۲۲
اشارة ----- ۲۲
أ- الشخصیّة الإنسانیّة المعبّر عنها ب «أنا»: ----- ۲۴
ب- ثبات الشخصیة الإنسانیة فی دوّامة التغییرات الجسدیة: ----- ۲۵
ج- علم الإنسان بنفسه مع غفلته عن بدنه: ----- ۲۷
اشارة ----- ۲۷
القرآن وحقیقة الشخصیة الإنسانیة: ----- ۲۹
ما هی حقیقة النفس الإنسانیة؟ ----- ۳۴
الفصل الثانی استمرار الحیاة بعد الإنتقال من الدنیا أو بقاء الروح بعد الموت ----- ۳۶
اشارة ----- ۳۶
توضیح الاستدلال یتوقف علی التمعّن فی أمرین: ----- ۳۷
الفصل الثالث وجود الصلة بین الحیاة الدنیویة والحیاة البرزخیّة ----- ۵۲
اشارة ----- ۵۲
۱- النبی ّصالح یکلّم قومه بعد هلاکهم: ----- ۵۳
۲- النبی شعیب یخاطب قومه الهالکین: ----- ۵۳
۳- النبی یأمر بالتکلّم مع الأنبیاء: ----- ۵۴

۴- السلام على الأنبياء: ۵۶
السنّة الشريفة والصلة بين الحياتين: ۵۷
اشارة ۵۷
۱- النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله يكلّم أهل القليب: ۵۷
۲- الإمام عليّ عليه السلام يكلّم رؤساء الناكثين: ۶۰
۳- السلام على النبيّصلى الله عليه و آله فى ختام الصلاة: ۶۱
۴- الميت يسمع قرع النعال: ۶۱
۵- قول الميت عند حمل الجنازة: ۶۲
۶- النبيّ صلى الله عليه و آله يسلّم على الأموات: ۶۲
۷- تعذيب الميت فى القبر: ۶۳
كلام لإبن عبد البر فى المقام: ۶۴
الفصل الرابع الحياة البرزخية فى كلمات العلماء ۶۶
الفصل الخامس البرزخيّون ينتفعون بأعمال المؤمنين ۷۶
اشارة ۷۶
انتفاع الإنسان بعمله وبعمل غيره: ۷۸
عرض المسألة على الكتاب: ۸۰
الأحاديث الدالة على انتفاع الميت بفعل الحيّ: ۸۱
موقف المذاهب الإسلامية من هذه المسألة: ۸۶
الفصل السادس حول الشبهات المطروحة ۹۰
اشارة ۹۰
الشبهة الأولى: ۹۱
الشبهة الثانية: ۹۲
الشبهة الثالثة: ۹۷
الشبهة الرابعة: ۹۹

الشبهه الخامسة: ----- ۱۰۰
الشبهة السادسة: ----- ۱۰۱
الشبهة السابعة: ----- ۱۰۲
بحث فی النذور: ----- ۱۰۳
ما یترتب علی هذا الأصل: ----- ۱۰۴
تعریف مرکز ----- ۱۰۵

الحياه البرزخيه

اشارة

سرشناسه : سبحانی تبریزی جعفر، ۱۳۱۸

عنوان و نام پدیدآور : الحیاه البرزخیه : تبحث عن امتداد حیاه الانسان بعد الرحیل من الدنیا .../ جعفر السبحانی مشخصات نشر : قم الممثلیه الولی الفقیه لشوون الحج و الزیاره معاونیه شئون التعلیم و البحوث الاسلامیه فی الحج [مشعر]۱۳۷۶.

مشخصات ظاهری : ص ۱۰۰

فروست : (علی مائده العقیده ۱۳)

یادداشت : عربی یادداشت : کتابنامه به صورت زیرنویس موضوع : برزخ موضوع : برزخ -- جنبه های قرآنی شناسه افزوده : بعثه مقام معظم رهبری در امور حج و زیارت معاون آموزش و تحقیقات رده بندی کنگره : BP۲۲۲/۲۴ /س ۲ح ۹ ۱۳۷۶

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۴۴

شماره کتابشناسی ملی : م ۷۷-۱۸۰۱۲

ص:۱

اشارة

ص:۲

ص:۳

ص:۴

المقدمة

قال اللّه تعالى وتبارك:

«وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلْ فِی سَبِیلِ اللَّهِ أَمْوات بَلْ أَحْیَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ یُرْزَقُونَ».

البقرة/ ۱۵۴

وقال عزّ من قائل:

«قِیلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ یَا لَیْتَ قَوْمِی یَعْلَمُونَ* بِمَا غَفَرَ لِی رَبِّی وَجَعَلَنِی مِنَ الْمُکْرَمِینَ» یس/ ۲۶-/ ۲۷

لمّا انتهت معركة بدر بانتصار عظيم، وقف النبى الأكرمصلى الله عليه و آله يخاطب قتلى المشركين واحداً واحداً ويقول:

يـا أهـل القليب، يا عتبـة بن ربيعـة ويا شـيبة، ويا اميّـة بن حلف ويا أبا جهل و ... هل وجـدتم ما وعـدكم ربّكم حقّاً، فإنّى وجـدت ما وعدنى ربّى حقّاً.

فقال له بعض أصحابه: يا رسول اللّه أتنادى قوماً موتى.

فقالصلى الله عليه و آله: «ما أنتم بأسمعَ لما أقول منهم ولكنّهم لا يستطيعون أن يجيبونى».

السيرة النبويّة ۱: ۶۴۹؛صحيح البخارى ۹: ۹۸ كتاب الجنائز

ص:۵

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

وبه وحده نستعين وعليه وحده نتوكل

والحمد للَّهربّ العالمين، والصَّلاة والسلام على سيد رُسُله، وخاتم أنبيائه وآله ومن سار على خطاهم وتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

يهتم المسلمون اهتماماً كبيراً بالعقيدة الصحيحة لأنّها تشكّل حجر الزاوية فى سلوكهم ومناراً يضىءُ دروبهم وزاداً لمعادهم.

ولهذا كرّسَ رسُولُ اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم فى الفترة المكيّة من حياته الرسالية نفسه لإرساء أُسس التوحيد الخالص، ومكافحة الشرك والوثنية، ثم بنى عليها فى الفترة المدنيةصَرحَ النظام الأخلاقى والاجتماعى والاقتصادى والسياسىّ.

ولهذا- ونظراً للحاجةِ المتزايدة- رأينا أن نقدّم للأُمةِ الإسلاميّة الكريمة دراسات عقائدية عابرة مستمدَّةٍ من كتاب اللَّهِ العزيز، والسُنّةِ الشريفة الصحيحة، والعقل السليم، وما اتَّفق عليه علماءُ الأُمةِ الكرام، واللَّه الموفِّق.

معاونيّة التعليم والبحوث الإسلاميّة

ص:۶

ص:۷

تقديم

ابن تيميّة وأثر منهجه فى العقيدة والشريعة

فى العصر الذى تحالفت فيه الوثنيّة والصليبيّة على تدمير الإسلام وتحطيم كيانه فى أراضيه، والذى ينبغى فيه للعالِم المسؤول فى مثل هذا الظرف الحرِج، أن يتصدّى لهذه المواقف الخطيرة، ويعمد إلى تجميع القوى وتكريسها، ليكون المسلمونصفاً واحداً ويداً واحدة وقوة حامية للإسلام أمام الزحف الوثنى القادم من المشرق، المتمثل آنذاك فى الهجمة المغوليّة الشرسة المدمِّرة، والزحف الصليبى القادم من الغرب، المتمثّل فى الحملات النصرانية الحاقدة، على مقدسات المسلمين فى فلسطين.

فى مثل هذا العصر نرى من يطرح نفسه عالماً دينيّاً عارفاً بالكتاب والسنّة، يطرح على الساحة قضايا ومسائل من شأنها تعكير الصفو، وبلبلة الأذهان، وشقّ الصفوف، وبالتالى تضعيف القوة الإسلامية التى قوامها الوحدة.

أفيمكن والحال هذه وصف مثل هذا الشخص بأنّه عالم عارف أو

ص:۸

شيخ إسلام أحيى السنّة وأمات البدعة؟!

لقد كانت النصارى بالمرصاد للمسلمين وكان من أمانيّهم الاستيلاء على القدس الشريف، وانتزاعه من أيدى المسلمين بحجّة كونه مولِد المسيح، وقبلة النصارى، ولهذا شنّوا الغارة تلو الغارة، والحملة تلو الحملة على بلاد المسلمين من أواخر القرن الخامس (۴۹۱) إلى أواسط القرن السابع، وكانت للحروب الصليبية هذه مراحل ثمان انتصر المسيحيون فى بعضها وهزمت قواتهم فى البعض الآخر.

وقد تحمّل المسلمون جرّاء هذه الحملات الكبرى خسائر كبرى، لا يستطيع البنان واللسان عدّها وإحصاءها، ولا تصويرها، وبيانها.

وفيما كان الجرح نازفاً من جهة الغرب، تعرّضت البلاد الإسلامية من ناحية الشرق من عام ۶۱۳ ه لحملة شعواء، وثنية الجذور لإقتلاع الإسلام من أساسه والقضاء على أُصوله وفروعه وإبادة حضارته ومدنّيته إلى أن سقطت الخلافة العباسية بأيدى أُولئك الوثنيين عام ۶۵۶، وكانت الخسائر فى النفوس والأرواح كبيرة قاربت المليون، بل أكثر.

وبقى التدمير والحرب سائدَين فى البلاد إلى أواخر هذا القرن، بل امتدا إلى أواخر القرن الثامن.

ثم وقعت فى الشمال الغربى من البلاد الإسلامية أعنى الأندلس كارثة أُخرى، هى إبادة المسلمين وتصفيتهم بقتلهم أو بترحيلهم عن بلادهم وأوطانهم بأعداد كبيرة وهائلة.

فإذا نظرنا إلى الجدول التاريخى نرى أنّ هذه القرون الأربعة تعدّ من شرّ القرون على العالم الإسلامى حيث فيها:

ص:۹

۱- ابتدأت الحروب الصليبية من عام ۴۹۱ واستمرت إلى عام ۶۶۰ ه.

۲- ابتدأت الحروب التترية (المغولية) من عام ۶۰۳ وانتهت عام ۸۰۷ ه.

۳- أُبيد المسلمون فى أوطانهم بإسبانيا والأندلس، أو رحّلوا من عام ۶۰۹ إلى عام ۸۹۸ ه.

ففى هذه الظروف المأساوية المتّسمة بالقتل والتنكيل والتشريد، والهدم، والمقرونة بتحريق المكتبات وتدمير الثقافة الإسلامية، نرى أحمد بن عبد الحليم بن تيمية يطرح مسائل باسم التوحيد والشرك ويُقسِّم المسلمين إلى قسمين: موحّد ومشرك،

والأول هو مَن يتبع خطواته وأفكاره، والثانى هم المخالفون وهم الأكثرية الساحقة من المسلمين.

فهل- ترى- طرحت هذه المسائل المفرقة لصفوف المسلمين بدوافع إيمانية، وبحجة الدفاع عن حوزة الدين والإيمان.

أو أنّه كان وراء الأكمة ما وراءها، وأنّه كانت هناك وراء الكواليس أُمور أُخرى، يعلمها اللّه.

أو أنّ طارح هذه الأفكار كان إنساناً ساذجاً ومغفّلًا غير واقف على مصالح الإسلام والمسلمين ولا عارف بما يصلحهم فى ذلك الظرف العصيب وما يفسدهم.

وبكلمة قصيرة: ما كان يعرف الداء ولا الدواء.

ونحن لا نقضى بشىء عليه فالتاريخ خير قاضٍ، والعلم عند اللّه تبارك وتعالى.

ص:۱۰

وعلى أىّ نحو فسّر موقفُ الشخص المذكور، فقد أنتج هذا الموقف ثلاث نتائج سيئة، لم تزل آثارها الخطيرة باقيّة إلى الآن:

۱- الحطّ من شأن الأنبياء والأولياء والصالحين والشهداء والصدّيقين، وإنزالهم من مقاماتهم المعنوية العالية التى أعطاهم اللّه إياها بجهادهم، وإخلاصهم، ووفائهم للعقيدة ودفاعهم عن الشريعة.

۲- تعريض الآثار الإسلامية للمحو والإبادة والطمس والهدم، على حدّ لا- يبقى من آثار النبىّ والمسلمين الأوائل شىء يدل على وجودهم، وعلى تفانيهم وتضحياتهم، لو أُتيح لأتباع هذه الفكرة، وأنصار هذا الرجل أن ينفِّذوا كل مآربهم، ومراميهم.

وبالتالى لوْ وُفِّقوا لذلك، لَتحوّل الإسلام فى رؤية الأجيال المستقبلة إلى صورة أُسطورية لا- واقع لها ولا- أساس، إلّابين الكتب والأوراق، أو فى عالم الأذهان والأفكار.

۳- تفريغ الدين من محتواه الداخلى، الغنى، حيث قاموا بتفسير القرآن بحرفيته، فأثبتوا للّه‌سبحانه الجسمانية، الجهة، والمكان، وسائر ما تتمتع به المخلوقات من الأوصاف والحالات، وما لها من الأعضاء والجوارح.

وهذا واضح لمن طالع رسائل الرجل المذكور، وكتاباته.

هذه أبرز النتائج التى ترتّبت على هذا المنهج الفكرى الذى قدّمه ابن تيمية، ولكنّه لم يوفّق لتأصيل وتعميم ما كان ينويه ويهدف إليه ويسعى إلى نشره وحمل الناس عليه، وذلك لأنّه:

أوّلًا: واجه مخالفة العلماء الكبار من جميع المذاهب فى البلاد المنعمة بالعلم والإيمان، والحبّ للرسول وآله فى مصر والشام

ص:۱۱

وغيرهما، ولأجل ذلك بقيت فكرته بذرة فى ثنايا الكتب تنتظر أرضية مناسبة لنموّها، وتجدّدها.

ثانياً: واجه ما كان المسلمون مفطورين عليه من حبٍّ للإسلام، والرسالة المحمديّة الشريفّة، وتعلّق فطرى سليم بالرسول الكريمصلى الله عليه و آله وآثاره، وما كان مركوزاً فى أذهانهم منذ قرون من مشروعية لمظاهر التكريم والتبجيل للأنبياء والأولياء والصالحين.

وكانت الظروف على هذه الحال، ولم تكن مناسبة لنموّ وتوسع هذه البذرة إلى أن انتقلت إلى أراض قاحلة من العلم والمعرفة من بقاع نجد، فسقيت البذرة على يد محمّد بن عبد الوهاب النجدى (۱۱۱۵- ۱۲۰۶) فأخذت البذرة تنمو بين قوم امّيين لا يعرفون المعارف الصحيحة، بل تغلب عليهم البداوة والجاهلية، وقد استغل محمّد بن عبد الوهاب هذا النمط من الناس لتعميق هذه الفكرة، ودعمها وإشاعتها، ومن سوء الحظ أنّ أمير المنطقة محمّد بن سعود (حاكم الدرعية)، من إمارات نجد، أيّده فى فكرته واتّفقا على المناصب والدعم المتقابل، وبذلك عادت الفكرة إلى الساحة باسم الوهابية، وأخذت تنمو شيئاً فشيئاً بين أعراب نجد وما حولها، وقد وقعت مناوشات وحروب دامية بين هذه الفرقة والخلافة الإسلامية العثمانية مرات، بفضل القوات المصرية التابعة للخلافة آنذاك.

وفى خلال الحرب العالمية الأُولى انهارت الخلافة الإسلامية وتبدّلت إلى ملكيات، وإمارات يحميها الاستعمار البريطانى والفرنسى، فاستولى أمير الوهابية عبد العزيز بن سعود على مكة والمدينة عام ۱۳۴۴، وبذلك سيطروا على أقوى مركز من مراكز التبليغ والدعوة،

ص:۱۲

وصار لهم نشاط نسبيّ فى تبليغ الفكرة ونشرها، وكبح الألسن وإلجامها والسيطرة على المخالفين والمعارضين.

ومع ذلك لم يكن النجاح حليفهم إلى أن اكتُشِفَت فى المنطقة الشرقية (الظهران) أكبر معادن البترول، فصار أمير الوهابية يملك أكبر ثروة فى العالم سخّرها لصالح قبيلته، ونشر الفكرة التى نشأ عليها هو وآباؤه، ولولا هذه الظروف الإتفاقية لا تحسّ منهم من أحد، ولا تسمع لهم رِكْزاً.

إنّ التاريخ يعيد نفسه، ففى الوقت الذى تشنّ القوى الكافرة من الصهاينة والصليبيين، الغارة تلو الغارة على الأطفال والشباب لمسح هويتهم الإسلامية بشتى الوسائل، حتّى أنّ الإنجيل قد ترجم فى عقر دار المسلمين بمختلف اللغات الدارجة فى البلاد الإسلامية.

ففى هذا الوقت العصيب الذى تدمع عين الإسلام دماً، نرى الوهابيين مستمرين على تهديم الآثار الإسلامية الباقية، بمعاولهم الهدامة تحت غطاء توسيع المسجدين، موزعين ملايين الكتب والأشرطة، كلّها مكرَّسة للهجمة الشرسة على المسلمين قاطبة والشيعة الإمامية خاصة، ولا تتبنى من العلم الصحيح الناجع لداء المسلمين اليوم، شيئاً، سوى أنّ البناء على القبور وتقبيل الضريح والتوسل بالأولياء وطلب الشفاعة منهم شرك وبدعة.

فياللّه وللمسلمين بهذا التفريق والتبديد، والإسراف والتبذير، أما آن لهؤلاء المغفلين أن ينتبهوا من غفلتهم ويسعوا فى سبيل وحدة المسلمين، مكان تفريقهم وتذليلهم لهم، إذا كانوا يعتبرون أنفسهم مسلمين؟

ص:۱۳

وعلى كلّ تقدير، فنحن أمام هذه الحادثة الكارثة التى هزّت وحدة المسلمين وجعلتهم فريسة للمستعمرين ووسيلة للتقاتل والتخاصم والتنازع والتناوش، مكان بذل الجهد وتكريس التعاون لأهم الأُمور وهو حفظ استقلالهم والتخلّص من مخالب المستعمرين وتنشيط اقتصادهم وتجديد سيادتهم على العالم.

وهنا نحن نغضّ الطرف عن جميع ما ذكرنا وندعو علماء الوهابية فى الحجاز والرياض أن يقيموا مؤتمراً إسلامياً يحضره علماءُ من كافة المذاهب الإسلامية، لدراسة مسائل عديدة- مّما يتميز بها الوهابيون عن غيرهم- فى جوّ هادئ تسيطر عليه الروح الموضوعية والعلمية، والبعيدة عن السيطرة السياسية حتى يتبيّن الحقّ عن الباطل، وتتم الحجة على الجاحد، ولعلّ فى هذا المؤتمر نجاح الإسلام والمسلمين وتوحيد الكلمة، كما أنّ لهم كلمة التوحيد.

وبما أنّ الحياة البرزخيّة بعد الانتقال من الدنيا، هى الأساس لنقد دعاياتهم وعقائدهم خصّصنا تلك النشرة لتحقيقها والبرهنة عليها بالكتاب والسنّة والعقل الصريح، فى ضمن فصولٍ.

وآخر دعوانا أن الحمد للّه ربِّ العالمين

جعفر السبحانى

ص:۱۴

ص:۱۵

الفصل الأول حقيقة الإنسان، روحه ونفسه

اشارة

لم يزل الإنسان عبْر القرون يبحث عن الحياة وحـدّها ومنشـئها ومُنتهاها بحثاً حثيثاً، كى يقف على معالمها وآثارها وكيفية حدوثها بين الموجودات الحيّة.

وقـد أدّى هذا البحث والولع الشديدين إلى نشوء قسم مختص يعرف ب «عالم الأحياء»، وقد كرّس لفيف من العلماء جُلَّ أعمارهم فى سبيل ذلك وخرجوا بنتائج باهرة معروفة.

والغايـة القصـوى من دراسـة الظـاهرة الحياتيـة، هى الوقـوف على واقعِ الإنسـان، وهـل هو عبـارة عن هيكـل مـادىّ متكوّن من عروق وأعصـاب وعظـام وغيرهـا من المكوّنـات الماديـة فحسب، أم أنّ هناكَ وراء هـذا المظهر المادّى جوهراً آخراً يشـكِّل حقيقـة الإنسان ويُشيّد واقعه والإنسان به يكون إنساناً؟

وبعبارة اخرى: إنّ الباحث يحاول أن يقف على ذاته وواقعه، وانّه هل هو موجود آلىّ مركب من أدوات مادية مختلفة تتفاعل أجزاؤه

ص:۱۶

بعضها ببعض، أو أنّ وراء هذا الموجود الآلىّ حقيقة قدسية هى واقع الإنسان وهى المدبّرة لما تراه وتظنّه إنسانا؟

فالعلماء فى هذا المجال على رأيين:

الأول: الإنسان موجود آلى مركّب من عرق وعصب ولحم وعظم، وما الشعور إلّانتيجة تفاعل هذه الأجزاء بعضها ببعض، وليس وراءَ هذا التركيب المادىّ أىّ وجود آخر باسم الروح والنفس وأنّ الإنسان يفنى بموته وبه تنتهى شخصيته و «ليس وراء عبّادان قرية» وقد انطلت هذه النظرية فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر على كثير من الباحثين فى الغرب، وبذلك قاموا بنفى العوالم الغيبيّة وراء المادة، وحسِبوا أنّ الوجود يساوى المادة وهى أيضاً تساويه، وبذلك شيّدوا المذهب المادّى فى ذينك القرنين.

الثانى: إنّ واقع الإنسان الذى به يعدّ إنساناً، هو نفسه وروحه، وليس جسمه إلا أداة بيد روحه وجهازاً يعمل به فى هذا العالم المادّى، وهذا لا يعنى أنّه مركّب من جسم وروح، بل أنّ الواقع فوق ذلك، فالإنسان هو الروح، والجسم كسوة عليه، ونِعْمَ ما قيل:

يا خادَم الجسم كمَ تشقى بخِدمته فأنت بالروح لا بالجسم إنسانُ

ومن حسن الحظ أنّه فى الوقت الذى كان المادّى يرفع عقيرته وينادى بأنّه ليس وراء المادة شىءٌ أثبتت البحوث العلمية بطلان هذه النظرية، فقام الروحيون بنشر رسائل عديدة وكتب كثيرة تشتمل على تجاربهم وأدلتهم فى هذا المضمار، فبذلك دمّروا ما بُنى من تفكّرات مادية بمعاولهم العلمية.

وبما أنّ بحثنا فى هذه الرسالة يعتمد على الكتاب والسنّة فنترك

ص:۱۷

أدلّتهم للقارئ الكريم للبحث عنها فی مظانّها، ولكن قبل أن ندرس قضاء الكتاب والسنّة فی المقام نأتی ببعض الأدلّة العقلية التی تتجاوب وشعور قرّائنا فإنّها دلائل واضحة- علی أنّ وراء الجسم، واقعاً آخر باسم الروح- يخضع أمامها كل إنسان واع وإن لم يقرأ كتابا فلسفياً، ولم يقرع باب العلوم العقلية، لأنّ ما يمرّ عليه كلها امور وجدانية يحّس بها كلّ إنسان إذا تجرّد عن رأی مسبق.

أ- الشخصيّة الإنسانيّة المعبّر عنها ب «أنا»:

لم يزل كلّ واحد منّا ينسُب جميعَ أفعاله إلی موجود نعبّر عنه ب «أنا» ويقول: «أنا فعلت» «أنا أكلت» و «أنا ضربتُ» وربما ينسبها إلی الضمائر المتصلة القائمة مكان «أنا» فيقول: «قرأت»، «كتبت»، «أردت» و «أجبت»، فإذن يقع السؤال حول تعيين الموضوع الذی تنسب إليه هذه الأفعال، فما هو إذن؟ هل هو هذا الجسم المادّی، أو شیء آخر وراء ذلك؟ فلو كان الموضوع هو الجسم المادّی منه، لا يكون دليلًا علی وجود جوهر آخر مجرد عن المادة وآثارها، ولو كان الموضوع أمراً غيره، يثبت به موضوع وراء المادة، مقترن بجسمه وحياته المادية.

ثم إنّنا ننسب أعضاءنا إلی شیء آخر وراء الجسم المادّی هذا ونقول: «رأسی» و «قلبی»، «بطنی» و «قدمی» فهذه أعضاء رئيسية للجسم المادیّ «الإنسان»، ومع ذلك فإنّنا ننسبها إلی شیء آخر وراء هذا الجسم المادّی.

وربما نتجاوز إلی أكثر من هذا فننسب نفس الجسم بأكمله إلی شیء آخر، فنقول: «بدنی»، فإذن ما هذا المضاف إليه فی جميع هذه

ص:۱۸

الانتسابات، من انتساب الأفعال والأعضاء والبدن بأكمله؟

وبما أنّ كلّ قضية تتركّب من موضوع ومحمول، فبداهة العقل تحكم بأنّ لهذه المحمولات موضوعاً وإن لم يكن مرئياً إلّاأنّنا ندركه من خلال هذه المحمولات.

وبعبارة واضحة: أنّ الأفعال البشرية رغمصدورها من أعضاء مختلفة كالإبصار بالعين، والرفع باليد، والمشى بالرجل، والسمع بالأُذن، فالإنسان ينسبها جميعاً إلى مصدر واحد، فيقول:

«أنا شاهدت»، «أنا مشيت» و «أنا سمعت» كما ينسب كلّ عضو من جسمه إلى مصدر كذلك، فإذن تتطّلب هذه المحمولات موضوعاً واحداً لنفسها، حتى لا تكون القضية مجرّد انتسابات بلا موضوع، وعندئذ يكون هذا المصدر الواحد هو الشخصية الواقعية للإنسان التى نعبرّ عنها بروحه ونفسه.

فالنتيجة: أنّ الشخصية الإنسانية تكمن وراء جسمه وصورته الظاهرية.

ب- ثبات الشخصية الإنسانية فى دوّامة التغييرات الجسدية:

إنّ كل واحد منّا يحس بأنّه باقٍ فى دوّامة التغيرّات والتحوّلات التى تطرأ على جسمه، فمع أنّه تمرّ عليه أحوال كثيرة وتبدّلات جوهرية خلال مراحل الطفولة، والصّبا، والشباب، والشيخوخة، إلا أنّه يجد أنّ شيئاً واحداً ينسب إليه جميع هذه الصفات والحالات وهو باق خلال هذه التغييرات، غير متغير.

فيقول: أنا الذى كنت طفلًا، ثم يافعاً، ثم شاباً، ثم كهلًا، ثم شيخاً،

ص:۱۹

فيدرك أنّ هناك حقيقة باقية ثابتة رغم تغيير كلّ هذه الأحوال والأوضاع وتصرّم الأزمنة وانقضاء الأوقات، فقد تغير كل شيء خلال سبعين سنة ولكن هناك أمر باق لم يتغير ولم يتبدل وهو الذى يحمل تلك الصفات والأحوال، فالمتغير غير الثابت، والتغير آية المادية، والثبات آية التجرّد عن أحكام المادة.

بل نرى أنه ينسب إلى نفسه الفعل الذى قام به قبل خمسين سنة ويقول: «أنا الذى كتبت هذا الخط يوم كنت طفلًا» وهذا يعرب عن أنّه يدرك بوجدانه هو الذى كتب ذلك الخط سابقاً، فلو لم يكن هناك شيء ثابت إلى زمان نطقه بهذا الكلام لزم كذب القضية وعدمصّحتها، وذلك لأنّه لو كان الإنسان خلاصة الأجزاء المادية الظاهرة فالمفروض أنّها زالت وحدثت بعدها شخصيات جسمانية متعددة، فأين الإنسان أيامصباه، منه أيام شيخوخته، وقد تحوّلت وتبدّلت عظامه وعروقه وأعصابه فى دوامة التغيّرات وتحلّل منه كلّ شيء وتخلّفت عنه أشياء أُخر، مثلها شكلًا وغيرها حقيقة.

فعملية التغيّر فى جسمه مستمرة فما زالت الخلايا تتلف وتُستعاض بأُخر، ولكن الإنسان يرى نفسه ثابتاً فى مهب تلك التحوّلات، فكأنَّ هناك أمراً ثابتاً طيلة سبعين عاماً يحمل تلك التحولات، فهو يشعر فى جميع مراحل حياته أنه هو الإنسان السابق الذى وجد منذ عشرات السنين.

نفترض أنّ إنسانا جنى وله من العمر عشرون عاما، ولم يقع فى قبضة السلطات إلى أن ألقت القبض عليه وله من العمر ستون عاماً، فعند ذلك يقف فى قفص الاتّهام ليُحاكم على جرمه، فإذا به محكوم بالإعدام

ص:۲۰

على ما جبت يـداه بقتله أُناساً أبرياء، فلا القاضـى ولا الحاضـرون فى جلسة المحكمة يرون الحكم الصادر بحقّه جائراً، بل يراه الجميع أنّه وفق العدالة.

ولو كـان الإنسان عبارة عن جسم مادى، فقـد تغيرت خلاياه مرات عديـدة طيلـة تلك الأعوام، لكنّ الحاضـرين والقاضـى وكل سامع، يرى أنّه نفس ذلك الإنسان الجانى، فما هذا إلّالأنّ هناك حقيقة ثابتة فى دوّامة المتغيّرات، لم يطر أعليها أىّ تغيير، بل بقيت محفوظة مع كـل هـذه التبـدلات، وإذا كـان التغيّر منصـفات المادة، والثبات والـدوام منصـفات الموجود غيرالمادّى، نكتشف من ذلك أنّ واقع الإنسان غيرمادّى وثابت فى جميع الحالات، وهذا ما نعبرّ عنه بالروح المجرّدة، أو النفس المجردة.

وأخيراً نقول: إنّ هـذا البرهـان غير البرهـان السـابق، فمنطلق الأـول هو وجود الموضوع لجميع المحمولاـت، ومنطلق البرهـان الثانى هو ثبات الموضوع فى دوّامة التحوّلات والتغيرات الطارئة على البدن.

وفى النهايـة نقول: وقـد لخص الرازى هـذا البرهان فى تفسـيره وقال: إنّ أجزاء هـذا الهيكل أبـداً فى النموّ والذبول، والزيادة والنقصان والاسـتكمال والـذوبان، ولا شكَّ أنّ الإنسان من حيث هو هو أمر باق من أوّل عمره، والباقى غير ما هو غير باق، والمشار إليه عند كل أحد بقوله «أنا» وجب أن يكون مغايراً لهذا الهيكل «(۱)».

ج- علم الإنسان بنفسه مع غفلته عن بدنه:

اشارة

ترى الإنسان يغفل فى ظروف خاصة عن كل شىء حتى عن بدنه

۱- الرازى: مفاتيح الغيب ۴: ۱۴۷.

ص:۲۱

وأعضائه، لكنّه لا يغفل عن نفسه، وهـذا برهان تجريبى يمكن لكلّ منّا القيام به، وبذلك يصح القول بأنّ للإنسان وراء جسـمه المادىّ حقيقةً أُخرى، حيث إنّه يغفل عن الأول ولا يغفل عن الثانية، وبتعبير علمى:

المغفول، غير المغفول عنه، وإليك توضيح ذلك:

إنّ إدراك هذه الحقيقة (يغفل عن كل شىء حتى جسمه ولا يغفل عن نفسه) يتوقف على ظروف خاصة بالشكل التالى:

۱- أن يكون فى جوّ لا يشغله فيه شاغل ولا يلفت نظره لافت.

۲- أن يتصور أنّه وجد فى تلك اللحظة بالذات وأنّه كان قبل ذلك عدماً، وما هذا إلّاليقطعصلته بماضيه وخواطره قطعاً كاملًا.

۳- أن يكونصحيح العقل سليم الإدراك، فى تلك اللحظة.

۴- أن لا يكون مريضاً لا يلفت المرض انتباهه إليه.

۵- أن يستلقى على قفاه ويفرّج بين أعضائه وأصابع يديه ورجليه حتى لا تتلامس فتجلب انتباهه إليها.

۶- أن يكون فى هواء طلق معتـدل لاـ حـار ولاـ بارد ويكون كأنّه معلّق فى الفضاء حتى لا يشـغله وضع المناخ، أو يلفته المكان الـذى يستند إليه.

ففى هذه الحالة التى يقطع الإنسان كلصـلاته بالعالم الخارجى عن نفسه تماماً ويتجاهل حتى أعضاءه الداخلية والخارجية ويجعل نفسه فى فراغ من كل شىء وعندئذ يستشعر بذاته، أى سيدرك شيئاً غير جسمه وأعضائه وأفكاره وبيئته التى أحاطت به، وتلك هى «الذات الإنسانية» أى الروح أو النفس الإنسانية التى لا يمكن أن تفّسر بشىء من الأعضاء والحواس والقوى.

ص:۲۲

وهـذه البينونـة أظهر دليل على أنّ للإنسان وراء جسـمه وأعضائه المغفول عنها فى بعض الظروف، حقيقـة واقعية غير مغفول عنها أبداً، وأنّ الإنسان ليس هو جسمه وأعضاؤه وخلاياه.

وقـد لخّص الرازى هـذا البرهـان وقـال: إنّى أكون عالماً بأنّى «أنا» حال، أكون غافلًا عن جميع أجزائى وأبعاضـى، والمعلوم، غير ما هو غير معلوم فالذى أُشير إليه بقولى مغاير لهذه الأعضاء والأبعاض «(۱)».

إلى هنا اكتفينا بالبراهين الواضحّة التى يسهل التمعّن فيها لكل إنسان واع وإن لم يدخل مدرسة كلامية أو فلسفية، وبذلك استغنينا عن البراهين المعقـدة التى أقامهـا الفلاسـفة على وجود الروح فى كتبهم، وبمـا أنّ رسالتنـا فى هـذه البحوث مقتصـرة على الاعتمـاد على الكتاب والسنّة، لذلك ندرس واقع الانسان وحقيقته على ضوء ذينك المصدرين ونكتفى فى هذا الحقل بآيات ثلاث.

القرآن وحقيقة الشخصية الإنسانية:

إذا استعرضـنا آيـات القرآن الكريم نقف، على أنهـا تـدلّ تـارة بوضوح وأُخرى بالاشـارة على أنّ واقع الإنسان وشخصـيته غير جسـمه المادىّ، ونحتج فى المقام بآيات:

الآية الاولى:

قال سبحانه: «قُلْ يَتَوفّاكُمْ ملكُ المَوتِ الّذى وكّل بِكُمْ ثُمَّ إليهِ تُرجَعونَ» (السجدة/ ۱۱).

۱- الرازى: مفاتيح الغيب ۴: ۱۴۹

ص:۲۳

الآية تردّ على ادّعاء المشركين القائلين بأنّ الموت بطلان الشخصية وانعدامها، وأنّها منوطة بجسده المادى، بأنّ شخصيته قائمة بشىء آخر لا يضلّ ولا يبطل، بل يؤخذ عن طريق ملك الموت إلى أن يحشره اللّه يوم القيامة.

وإليك بيان الشبهة والإجابة، فى ضمن تفسير آيتين:

قال سبحانه:

۱- «وقالُوا ءإذا ضَلَلْنا فى الأرض ءإنّا لَفى خلَقٍ جَديدٍ بَلْ هُمْ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ كافِرون»

۲- «قُلْ يَتوفّاكُمْ مَلَكُ المَوتِ الَّذى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إلى رَبِّكُمْ تُرجَعُون»

تدلّ هاتان الآيتان على «خلود الروح» بعد انحلال الجسد وتفكّكه وذلك بالبيان التالى:

كان المشركون يستبعدون إمكانية عودة الإنسان بعد تفكّك جسمه المادىّ وتبدّده فى التراب.

ولهذا اعترضوا على فكرة الحشر والنشر يوم القيامة، وقد عبر القرآن الكريم عن اعتراضهم بقوله:

«قالوا ءإذا ضَلَلنا فى الأرضِ ءإنا لَفى خَلق جَديد»

يعنى أنّ الموت يوجب فناء البدن، وتبعّض أجزائه، وضياعها فى ذرات التراب، فكيف يمكن جمع هذه الأجزاء الضّالة المتبعثرة، وإعادة تكوين الإنسان مرة أُخرى من جديد؟

فردّ القرآن الكريم هذا الاستبعاد والاعتراض بجملتين هما:

۱- «بَلْ هُمْ بِلِقاء رَبِّهِمْ كافِرون»

ص:۲۴

۲- «قُلْ يَتوفّاكُمْ مَلَكُ المَوتِ»

فلا شك أنّ الجملة الأُولى ليست هى الجواب على اعتراضهم حول إمكانية إعادة المعدوم من أجزاء الجسد، بل هى توبيخ لهم على إنكارهم لقاء اللّه وكفرهم بذلك، وإنّما ترى الجواب الواقعى على ذلك فى الجملة الثانية، وحاصله هو: أنّ ما يضلّ من الآدمى بسبب الموت إنّما هو الجسد وهذا ليس حقيقةُ شخصيته، فجوهر شخصيته باقٍ، وإنّ الذى يأخذه ملك الموت وينتزعه من الجسد ليس إلّاالجانب الأصيل الذى به تناط شخصيته وهو محفوظ عندنا.

إذن فالضال فى التراب من الإنسان- بسبب الموت- هو القشر والبدن، وأمّا حقيقته وهى الروح الإنسانية التى بها قوام شخصيته، فلا يطالبها الفناء ولا ينالها الدثور.

التوفّى فىالآية ليس بمعنى الإماتة، بل بمعنى الأخذ والقبض والاستيفاء، نظير قوله سبحانه: «اللَّهُ يَتوفّى الأنفُسَ حِينَ مَوتِها» (الزمر/ ۴۲) وقوله تعالى: «وهوَ الّذى يتوفّاكُمْ بِاللّيلِ ويَعلَمُ ما جَرحْتُمْ بِالنَّهارِ» (الأنعام/ ۶۰) ومن قولهم «وافاه الأجل» وبعبارة أُخرى: لو ضلّ بالموت كلّ شىء من وجودكم لكان لاستبعادكم إمكان إعادة الإنسان وجه مقبول.

وأمّا إذا بقى مابه واقعيتكم وحقيقتكم وهى النفس الإنسانية والروح التى بها قوام الجسد، فلا يكون لهذا الاستبعاد مبرّر، إذ تكون الإعادة حينئذ أمراً سهلًا وممكناً لوجود مابه قوام الإنسان.

قال العلامة الطباطبائى فى تفسير هذه الآية:

«إنّه تعالى أمر رسوله أن يجيب عن حجتهم المبنيّة على الاستبعاد، بأنّ حقيقة الموت ليس بطلاناً لكم، وضلالًا منكم فى

ص:۲۵

الأرض، بل ملَكُ الموت الموكَّل بكم يأخذكم تامّين كاملين من أجسادكم أى ينزع أرواحكم من أبدانكم، بمعنى قطع علاقتها من الأبدان، وأرواحكم تمام حقيقتكم، فأنتم أى ما يعنى بلفظة «كم»:

محفوظون لا يضل منكم شىء فى الأرض، وإنّما تضلّ الأبدان، وتتغيّر من حال إلى حال، وقد كانت فى معرض التغيّر من أوّل كينونتها، ثم إنّكم محفوظون حتى ترجعوا إلى ربكم بالبعث ورجوع الأرواح إلى أجسادها.

وبهذا تندفع حجّتهم على نفى المعاد بضلالهم سواء أقرّرت على نحو الاستبعاد أم قُرِرّتَ على أنّ تلاشى البدن يُبطل شخصيةَ الإنسان فينعدم، ولا معنى لإعادة المعدوم، فإنّ حقيقة الإنسان هى نفسه التى يحكى عنها يقول «أنا» وهى غير البدن، والبدن تابع لها فى شخصيته، وهى تتلاشى بالموت ولا تنعدم، بل محفوظة فى قدرة اللَّه حتى يؤذن فى رجوعها إلى ربها للحساب والجزاء فيبعث على الشريطة التى ذكر اللَّه سبحانه» «(۱)».

الآية الثانية:

قال سبحانه: «يا أَيَّتُها النَّفسُ المُطمئِنَّةُ ارجِعِى إلى ربِّكِ راضيةً مَرضَّيةً فادخُلى فى عِبادى وَادْخُلِى جَنَّتى» (الفجر/ ۲۷- ۳۰).

فالآية لم تخاطب جسد الإنسان وأعضاءه كما ترى، بل واقعه وحقيقته التى يعبَّر عنها الذكر الحكيم بالنفس، واختار من بين النفوس الكثيرة النَفس المطمئنة وهى التى تسكن إلى ربَّها، وترضى بما رضى به

۱- الميزان: ج ۱۶: ص ۲۵۲.

ص:۲۶

لها، فترى نفسها عبداً لا يملك لنفسه شيئاً من خير أو شرّ، أو نفع أو ضرّ.

ويرى الدنيا دار مجاز وما يستقبله فيها من غنى أو فقر، أو أىّ نفع وضّرٍ ابتلاءً وامتحاناً الهياً، فلا يدعوه تواترُ النعم عليه إلى الطغيان وإكثار الفساد، والعلوّ والاستكبار، ولا يوقعه الفقر والفقدان فى الكفر وترك الشكر.

ثم يخاطبها بخطاب آخر ويقول: «ارجعى إلى ربِّك راضيةً مرضيةً»، وظرف الخطابين من حين نزول الموت إلى دخول جنة الخلد، ثمّ يخاطبها بخطاب ثالث ورابع ويقول: «فَادخُلى فى عِبادى وادخلى جنّتى» وهما تفريعان على الخطاب الثانى الماضى أعنى «ارجعى إلى ربِّك ...» وقوله «فى عبادى» يدل على أنها حائزة مقام العبودية وفى قوله «جنّتى» تعيين لمستقرّها وفى إضافة الجنة إلى ضمير التكلم، تعريف خاص، ولا يوجد فى كلامه تعالى إضافة الجنّة إلى نفسه تعالى وتقدّس إلّافى هذه الآية «(۱)».

والمخاطب فى هذه الخطابات الأربعة، ليس جسده البارد الذيصار بالموت بمنزلة الجماد ولا عظامه الرميمة الدفينة فى طبقات الثرى، بل نفسه وروحه الباقية غير الداثرة.

ولوخُصَّ ظرف الخطاب بيوم البعثمن لدن إحيائها إلى استقرارها فى الجنة، لما ضرّ بالاستدلال وان كان على الوجه الأوّل أظهر.

والحاصل: سواء أقلنا بأنّ ظرف الخطاب هو زمان الموت أو قلنا بأنّه زمان البعث، فالمخاطب هو نفس الإنسان لا بدنه ولا أعضاؤه فتدلّ على أنّها واقعةُ والباقى كسوة عليها.

۱- الطباطبائى: الميزان ۲۰: ۲۱۳، مجمع البيان ۵: ۴۸۹.

ص:۲۷

الآیة الثالثة:

قال سبحانه: «فَلَولا إذا بَلغت الحُلْقوم وأنتم حِینئذٍ تَنظُرُونَ» (الواقعة/ ۸۳-/ ۸۴).

وجه الدلالة: أنّ الحلقوم جزء من جسمه فهناک أمر آخر یبلغ الحلقوم عند الموت ولیس إلّاالنفس التی تُنتقل من دار إلی دار.

ولو کانت حقیقة الإنسان هو جسده المادّی، فلا معنی للبلوغ ولا للنزوع والخروج.

وبذلک یعلم أنّ بعض ما سنستدل به فی الفصل الآتی، یدل ضمناً علی ما نحن الآن بصدد بیانه، ولأجل ذلک نقتصر فی المقام بالآیات الثلاث، ونحیل الاستدلال بغیرها إلی ما سیوافیک فی الفصل القادم.

ما هی حقیقة النفس الإنسانیة؟

إنّ کثیراً من القوی الطبیعیة معروفة بآثارها لا بحقائقها، فالکهرباء نعرفها بآثارها، کما أنّ الذرّة أیضا کذلک، فالعالِم بالحقائق هو اللّه سبحانه، ولیس حظّ الإنسان فی ذلک الباب إلّاالوقوف علی الآثار، فإذا کانت هی حال القوی الکامنة فی الطبیعة، فالروح أولی بأن تکون کذلک، غیر أنّ کثیراً من المتکلّمین وبعض المحدّثین خاضوا فی هذا الباب ولم یأتوا بشیء واضح، وأقصی ما عندهم: أنّها جسم مخالف بالماهیة لهذا الجسم المحسوس، وهو جسم نوارنی، علوی، خفیف، حی، متحرک ینفذ فی جوهر الأعضاء ویسری فیها سریان الماء فی الورد، والدهن فی الزیتون، والنار فی الفحم، فما دامت هذه الأعضاءصالحة لقبول الآثار الفائضة علیها من هذا الجسم اللطیف، بقی ذلک

ص:۲۸

الجسم اللطیف مشابکاً لهذه الأعضاء وأفادها هذه الآثار من الحس والحرکة الإرادیة.

وإذا فسدت هذه الأعضاء بسبب استیلاء الأخلاط الغلیظة علیها وخرجت عن قبول تلک الآثار فارق الروح البدن، وانفصل إلی عالم الأرواح.

قال ابن القیم: وهذا القول هو الصواب فی المسألة، وهو الذی لا یصح غیره، وکل الأقوال سواه باطلة، وعلیه دلّ الکتاب والسنّة وإجماع الصحابة وأدلّة العقل والفطرة «(۱)».

أقول: ما قاله ونقله ابن القیم، أحسن ما نقل عنهم فی المقام، ولکن واقع الروح ومنزلته أرفع بکثیر مما جاء فی هذا الکلام، وتشبیهه بسریان الماء فی الورد، والدهن فی الزیتون والنار فی الفحم یعرب عن سطحیة الدراسة فی المعارف الغیبیة، وعدم التفریق بین مراتب الروح، فإنّ مرتبة منها یشبه بما ذکر، وأمّا المرتبة العلیا أعنی المخاطب بقوله سبحانه «یا أیّتها النفسُ المطمئنَّةُ ارجِعی إلی ربِّکِ راضیةً مَرضیةً فادخُلی فی عِبادی وادخُلی جَنَّتی» فهی أرفع کرامة من أن یکون شأنها شأن الأُمور المادّیة اللطیفة، والتفصیل موکول إلی محلِّه.

۱- ابن القیم« شمس الدین»: الروح: ۱۷۸.

ص:۲۹

الفصل الثانى استمرار الحياة بعد الإنتقال من الدنيا أو بقاء الروح بعد الموت

اشارة

قد تعرّفت فى الفصل السابق على أنّ واقع الإنسان روحه ونفسه، وأنّ الجسم المادّى منه ليس إلّاكسوة عليه، والنفس هى اللبّ، والبدن قشره، وقد قرّبناه إلى ذهن القارىء تقريباً سهلًا مستندين فى ذلك على ما ورد فى الكتاب العزيز مضافاً إلى ما مر من قضاء العقل الصريح فى هذا المضمار.

ونركز فى فصلنا هذا على خلود الروح بعد الموت، وأنّها باقية بإذنه سبحانه إلى أن يرث اللّه سبحانه الأرض ومن عليها وما فيها، ونقتصرفى‌المقام- بدل‌الاستدلال بالبراهين العقلية- عليصريح الآيات ونصوص الذكر الحكيم حتى لا يبقى لمريب ريب ولا لمشكّك شك.

الآية الأُولى:

قال سبحانه: «اللَّهُ يَتوفّى الأنفُسَ حِينَ مَوتها والتّى لَمْ تَمُتْ فى منَامِها

ص:۳۰

فَيُمسِكُ الّتى قَضَى عَليها الموتُ ويُرسِلُ الأُخرى إلى أجلٍ مُسمّىً إنّ فى ذلكَ لآياتٍ لِقومٍ يَتفكَّرون» (الزمر/ ۴۲).

توضيح الاستدلال يتوقف على التمعّن فى أمرين:

۱-/ المراد بالأنفس هى الأرواح المتعلّقة بالأبدان لا مجموعهما، لأنّ المقبوض عند الموت ليس هو المجموع، بل المقبوض هو الروح، والآية تدل على أنّ الأنفس تغاير الأبدان حيث تفارقها وتستقل عنها وتبقى بحيالها.

۲-/ إنّ لفظة «يتوفّى» و «يمسك» و «يرسل» تدلّ على أنّ هناك جوهراً غير البدن المادّى فى الكيان الإنسانى، يتعلّق به كل من «التوفّى» و «الإمساك» و «الإرسال» وليس المراد من التوفّى فى الآية إلّاأخذ الأنفس وقبضها، ومعناها أنّه سبحانه يقبض الأنفس إليه، وقت موتها ومنامها، بيد أنّ من قضى عليه بالموت يمسكها إلى يوم القيامة ولا تعود إلى الدنيا، ومن لم يقض عليه به يرسلها إلى الدنيا إلى أجل مسمّى، فأية دلالة أوضح من قوله أنّه سبحانه يمسك الانفس، فهل يمكن إمساك المعدوم أو أنّه يتعلّق بالأمر الموجود وليس ذلك إلّاالأنفس.

الآية الثانية:

قوله سبحانه: «ولا تَقولُوا لِمَنْ يُقتَلُ فى سَبيلِ اللَّهِ أمواتٌ بَلْ أحياءٌ ولكنْ لا تَشعُرون» (البقرة/ ۱۵۴).

وقد جاء فى أسباب نزولها، أنّ المشركين كانوا يقولون: إنّ أصحاب محمّدصلى الله عليه و آله يقتلون أنفسهم فى الحروب بغير سبب ثم يموتون

ص:۳۱

فيذهبون، فأعلمهم اللّه أنه ليس الأمر على ما قالوه، بل هم أحياء على الحقيقة إلى يوم القيامة.

وأدب التفسير الصحيح يبعثنا على أن نفسر الحياة بمعناها الحقيقى أى ما يفهمه عموم الناس من لفظة «حىّ» خصوصاً بقرينة الآية الثالثة، حيث أثبتت للشهداء الرزق والفرح والاستبشار كما سيجىء، فتفسير الآية بأنّهم سيحيون يوم القيامة تفسير باطل، لأنّ الإحياء فى ذلك اليوم عام لجميع الناس ولا يخصّ الشهداء، كما أنّ تفسير الحياة فى الآية بمعنى الهداية والطاعة قياساً لها بقوله سبحانه: «أوَ مَنْ كانَ مَيْتَاً فَأحيَيناهُ وجَعلْنا لَهُ نُوراً يَمشى بِهِ فى النّاس» (الأنعام/ ۱۲۲) حيث جعل الضلال موتاً والهداية حياة قياس باطل، لوجود القرينة على تفسير الحياة بالهداية والموت بالضلال فيها دون هذه الآية.

وسيوافيك تفنيد هذين الرأيين عن الرازى فى تفسير الآية الثالثة.

ومعنى الآية «ولا تَقولوا لِمَنْ يُقتلُ فِى سبيلِ اللّهِ أموات» إى لا تعتقدوا فيهم الفناء والبطلان فليسوا بأموات بمعنى البطلان، بل أحياء ولكن حواسّكم لا تنال ذلك ولا تشعر به.

وعلى ذلك فالآيتان تثبت للشهداء حياة برزخية غير الحياة الدنيوية وغير الأُخروية، بل حياة متوسطة بين العالمين.

الآية الثالثة:

قال سبحانه:

۱- «ولا تَحسبنَّ الَّذينَ قُتِلُوا فى سَبيلِ اللّهِ أمواتاً بلْ أحياءٌ عندَ ربِّهِمْ يُرزَقُونَ».

ص:۳۲

۲- «فَرِحِینَ بِما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضلِهِ ویَستبشرونَ بِالَّذینَ لَمْ یَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلفِهِمْ أَلّا خَوفٌ عَلَیهِمْ ولا هُمْ یَحزَنُونَ».

۳- «یَستَبشِرُونَ بِنعمةٍ مِنَ اللَّهِ وفَضلٍ وأَنَّ اللَّهَ لا یُضیعُ أَجْرَ المُؤمنین» (آل عمران/ ۱۶۹-/ ۱۷۱).

والآیات هذهصریحة- کل الصراحة- فی بقاء الأرواح بعد مفارقتها الأبدان، وبعد انحلال الأجسام وتفکّکها کما یتّضح ذلک من الإمعان فی المقاطع الأربعة التالیة:

۱- «أحیاءٌ عند ربّهم».

۲- «یُرزَقون».

۳- «فَرِحینَ ...». ۴- «ویَستَبشِرونَ ...».

والمقطع الثانی یشیر إلی التنّعم بالنعم الإلهیة، والثالث والرابع یشیران إلی النعم الروحیة والمعنویة، وفی الآیة دلالة واضحة علی بقاء الشهداء بعد الموت إلی یوم القیامة.

وقد نزلت الآیة إمّا فی شهداء بدر وکانوا أربعة عشر رجلًا ثمانیة من الأنصار وستة من المهاجرین، وإما فی شهداء أُحد وکانوا سبعین رجلًا أربعة من المهاجرین: حمزة بن عبد المطلب، ومصعب بن عمیر، وعثمان بن شماس، وعبد اللّه بن جحش، وسائرهم من الأنصار، وعلی قول نزلت فی حقّ کلتا الطائفتین.

قال الرازی فی تفسیر الآیة: إنهم فی الوقت أحیاء کأنّ اللّه أحیاهم، لإیصال الثواب إلیهم، وهذا قول أکثر المفسرین، وهذا دلیل علی أن المطیعین یصل ثوابهم إلیهم وهم فی القبور.

ص:۳۳

ثم أشار إلی التفسیرین الآخرین اللّذین أوعزنا إلیهما:

أحدهما: للأصم حیث فسّر الحیاة بالحیاة الدینیة وأنّهم علی هدی من ربهم ونوره.

وثانیهما: لبعض المعتزلة وأنّ المراد من کونهم أحیاء أنّهم سیُحیون.

ثم قال: إنّ أکثر العلماء علی ترجیح القول الأول.

ثم فنّد الرأین الأخیرین بوجوه نذکر بعضها:

۱- لو کان المراد ما قیل فی القول الثانی والثالث لم یکن لقوله «ولکن لا تشعرون» معنی، لأنّ الخطاب للمؤمنین وقد کانوا یعلمون «أنّهم سیحیون» یوم القیامة وأنّهم علی هدی ونور.

۲- إنّ قوله: «ویستبشرون بالَّذِین لم یلحقوا بهم» دلیل علی حصول الحیاة فی البرزخ قبل البعث، أی: ویستبشرون بأناس لم یلحقوا وهم فی الدنیا، فإذا کان هذا طرف الاستبشار فیکون هو طرف الحیاة ویکون قبل البعث.

۳- لو کان المراد أحد المعنیین لا یبقی لتخصیص الشهداء بهذا فائدة، فإنّ غیرهم وکثیر من غیر الشهداء علی نور وهدی من رّبهم.

وما أجاب به أبو مسلم أنّه سبحانه إنّما خصهم بالذکر لأنّ درجتهم فی الجنّة أرفع ومنزلتهم أرفع، ضعیف، لأنّ منزلة النبیین والصدیقین أعظم من الشهداء مع أنّه سبحانه ما خصهم بالذکر «(۱)».

بقی الکلام فی أمرین:

أ- فی إعراب الظرف أی «أحیاء عند ربهم»، ففیه احتمالات:

۱- الرازی: مفاتیح الغیب ۴: ۱۴۶.

ص:۳۴

۱- أن یکون حالًا فی محل النصب من الضمیر فی «أحیاء».

۲- أن یکون خبر بعد خبر: هم أحیاء عندهم.

۳- أن یکون ظرفاً للفعل المتأخر أی یرزقون.

والأول أقرب.

وعلی أیّ تقدیر فلیس «عند» هنا للقرب المکانی لاستحالته إذ لیس له مکان، ولا بمعنی فی علمه وحکمه لعدم مناسبته، بل یعنی القرب والشرف أی ذوزلفی ورتبة سامیة «(۱)».

ب- معنی قوله: «ویستبشرون» وأصل الاستبشار وإن کان بمعنی طلب البشارة، ولکن الظاهر أنّ اللفظة مجرّدة عن معنی الطلب، والمراد:

ویسرّون ویفرحون، استعمالًا للفظ فی لازم معناه هو معطوف علی قوله سبحانه: «فرحین» أی: یسرون ویفرحون بإخوانهم الذین لم یلحقوا بهم فی سبیل اللّه تعالی بأن یلحقوا بهم من خلفهم، لما تبیّن لهم حسن حال إخوانهم الذین ترکوهم أحیاء، وهو أنّهم عند قتلهم فی سبیل اللّه تعالی یفوزون کما فازوا ویحوزون من النعم ما حازوا بدلالة قوله:

«لا خوفٌ علیهم ولا هُمْ یَحْزَنُون».

ویمکن أن یکون المراد: یسرون بقدوم إخوانهم الباقین بالشهادة أو بالموت الطبیعی واللّه العالم.

الآیة الرابعة:

قوله سبحانه: «وجاءَ مِنْ أقْصَا المَدِینة رجلٌ یَسعَی قالَ یا قوم اتَّبِعوا المُرسَلِین اتَّبِعُوا مَنْ لا یَسأَلُکمْ أجراً وهُمْ مُهتدُونَ ومالِیَ لا

۱- الآلوسی: روح المعانی ۲: ۱۲۲.

ص:۳۵

أعبُدُ الَّذی فَطَرنی وإلَیهِ تُرجَعُونَ أأتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلهةً إنْ یُرِدْنِ الرَّحمنُ بُضّرٍ لا تُغْنِ عنِّی شَفاعتُهُمْ شَیئاً ولا یُنقِذونَ إنیّ إذاً لفی ضلالٍ مُبینٍ إنِّی آمَنتُ بِربِّکُمْ فَاسْمَعُونِ قیلَ ادخُلِ الجَنَّهَ قالَ یا لیتَ قَومی یَعلَمونَ بِما غَفَر لی رَبِّی وجَعَلنی مِن المُکرَمِینَ وما أنزَلْنا علی قَومِهِ مِنْ بَعدِهِ مِنْ جُندٍ مِنَ السَّماء وما کُنّا مُنْزِلِینَ إنْ کانت إلّاصَیحهً واحدهً فإذا هُمْ خَامِدُونَ» (یس/ ۲۰-/ ۲۹).

اتّفق المفسرون علی أنّ الآیات نزلت فی رُسل عیسی، وقد نزلوا بأنطاکیا داعین أهلها إلی التوحید وترک عبادهٔ غیره سبحانه، فعارضهم من کان فیها بوجوه مذکورهٔ فی القرآن.

فبیما کان القوم والرسل یتحاجّون إذ جاء رجل من أقصی المدینهٔ یدعوهم إلی اللّه سبحانه وقال لهم:

اتّبعوا معاشر الکفار من لا یطلبون منکم الأجر ولا یسألونکم أموالکم علی ما جاءوکم به من الهدی، وهم مهتدون إلی طریق الحق، سالکون سبیله، ثم أضاف قائلًا:

وما لی لا أعبدُ الَّذی فَطرنی وأنشأنی وأنعم إلَّی وهدانی وإلیه تُرجعون عند البعث، فیجزیکم بکفرکم، أتأمروننی أن أتَّخذ آلهةً من دون اللّه مع أنّهم لا یُغنون شیئاً ولا یردّون ضرراً عنّی، ولا تنفعنی شفاعتهم شیئاً ولا ینقذوننی من الهلاک والضرر، وعندما مهّد الجو بإبطال حجّهٔ المشرکین وبیان أحقیّهٔ منطقه، فعندئذ خاطب الناس أو الرسل بقوله «إنّی آمنتُ بربِّکمْ فَاسمعونِ» فسواء أکان الخطاب للمشرکین أو للرسل فإذا بالکفار قد هاجموه فرجموه حتی قتل.

ولکنّه سبحانه جزاه بالأمر بدخول الجنهٔ بقوله: «قیلَ ادخُلِ

ص:۳۶

الجَنَّةَ» فلمّا دخل الجنة خاطب قومه الذين قتلوه بقوله «يا ليتَ قومى يعلمون بما غفر لى ربِّى وجعلنى من المُكرمين».

ثم إنّه سبحانه لم يمهل القاتلين طويلًا حتى أرسل جنداً من السماء لإهلاكهم، يقول سبحانه: «وما أنْزَلْنا على قَومِهِ منْ بَعدهِ مِنْ جندٍ من السَّماء وما كُنّا مُنزِلينَ إنْ كانَتْ إلّاصيحةً واحدةً فإذا هُمْ خامِدونَ»

أى: كان إهلاكهم عن آخرهم بأيسر أمر وهيصيحة واحدة حتى هلكوا بأجمعهم فإذا هم خامدون ساكتون.

ودلالـة الآيـة على بقاء النفس وإدراكها وشعورها وإرسالها الخطابات إلى من فى الحياة الـدنيا واضـحة جـداً، حيث كانَ دخول الجنة «قيل ادخُلِ الجَنَّةَ» والتمنّى «يا ليت قومى» كان قبل قيام الساعة، والمراد من الجنة هى الجنة البرزخية دون الأُخروية.

إلى هنا تم بيان بعض الآيات الدالـة على بقاء أرواح الشـهداء الذين بذلوا مهجهم فى سبيل اللّه، وهناك مجموعة من الآيات تدلّ على بقاء أرواح الكفار بعد انتقالهم عن هذه الدنيا، لكن مقترناً بألوان العذاب والطائفة الأولى منعّمة بألوان النعم، وإليك الطائفة الثانية:

الآية الخامسة:

قال سـبحانه: «فَوقاهُ اللّهُ سَيِّئاتِ ما مَكَرُوا وحاقَ بآلِ فِرعَوْنَ سوءُ العَذاب النّارُ يُعْرَضُونَ عَليها غُدُوّاً وعَشـيّاً ويوم تقومُ السّاعةُ أدْخِلُوا آلَ فِرعونَ أشدَّ العَذابِ» (غافر/ ۴۵- ۴۶).

والآيةصريحة فى أنّه سبحانهصرف عن مؤمن آل فرعون سوء مكرهم فَنَجا مع موسى، لكن أحاط بآل فرعون سوء العذاب، وأما كيفية

ص:۳۷

عذابهم فتدلّ الآية على:

أولًا: أنّ هناك عرضاً لهم على النار وإدخالًا لهم فيها، والثانى أشدّ من الأول.

ثانياً: أنّ العرض على النار قبل قيام الساعة، كما أنّ الإدخال حين قيامها.

وثالثاً: أنّ التعذيب بعد الموت وقبل قيام الساعة (البرزخ) والتعذيب عند قيام الساعة، بشىء واحد وهو نار الآخرة، لكن العذاب قبل قيامها بالعرض على النار وبعد قيامها بالدخول فيها، وينتج أنّ البرزخيين يعذّبون من بعيد «(۱)» وأهل الآخرة بالدخول.

ورابعاً: أنّ آل فرعون وإن ماتوا بالغرق فى البحر، لكن موتهم لم يكن بمعنى بطلانهم وفنائهم رأساً، بل بمعنى خروج أرواحهم من أبدانهم وانتقالهم إلى عالم آخر حائل بين العالمين، فقُضىَ عليهم بسوء العذاب إلى يوم القيامة بالعرض على النار، والدخول فيها بعد قيامها، ولو لم يكن إحياء، فلا معنى لتعذيب الجماد الفاقد للشعور بالعرض على النار.

وخامساً: أنّ شخصية آل فرعون بأرواحهم لا بأبدانهم، بشهادة بطلان أجسادهم وتشتّت أجزائها، لكنّهم معادون بعد الموت بالعرض على النار، وبالدخول فيها بعد قيام الساعة.

۱- يستفاد من الآية ۲۵ من سورة نوح على القول بأنها راجعة إلى البرزخ أنّ الدخول لا يختص بيوم القيامة، بل يعمّه والحقبة البرزخية، ولعلّ هناك فرقاً بين النارين أعاذنا اللّه منهما.

ص:۳۸

الآية السادسة:

«حتّى إذا جاءَ أحدَهُمُ المَوتُ قالَ ربِّ ارجِعُونِ لَعَلِّى أعملُصالحاً فِيما تَركتُ كلّا إنّها كَلمةٌ هوَ قائِلُها ومِنْ ورائِهِمْ بَرزخ إلى يومِ يُبعَثُونَ» (المؤمنون/ ۹۹- ۱۰۰).

وقبل أن نبّه بدلالة الآية على بقاء الحياة بعد الموت نفسر لفظين من الآية.

أحدهما: «البرزخ»، وهو الحاجز بين الشيئين، قال سبحانه: «مَرجَ البَحرينِ يَلتقيانِ بَينهُما برزخٌ لا يَبغِيانِ» (الرحمن/ ۱۹- ۲۰) ذكر سبحانه عظيم قدرته، حيث خلق البحرين، العذب والمالح يلتقيان ثم لا يختلط أحدهما بالآخر لوجود حاجز بينهما.

والثانى: لفظة «وراء» وهو فى الآية بمعنى أمام، ومعنى قوله «ومن ورائهم» أى: من أمامهم وقدّامهم.

قال سبحانه: «وكانَ وَراءَهم مَلِكٌ يأخُذُ كلَّ سفينةٍ غَصْبا» (الكهف/ ۷۹).

والاستدلال بهذه الآية من وجهين:

۱- إنّ الإنسان المذنب يرى حين الموت ما أُعدّ له فى مستقبل أمره من عذاب أليم، ولأجل ذلك يطلب من ملائكة اللّه أن يرجعونه إلى عالم الدنيا، حتى يتدارك ما فاته ويتلافى ما فرّط، وإلى هذا يشير قوله سبحانه: «حتّى إذا جاءَ أحَدَهُمُ الموتُ قالَ ربِّ ارجعون لَعلِّى أعملُصالحاً فيما تَركتُ».

۲- إنّ قوله تعالى: «ومِنْ ورائِهِمْ برزخٌ إلى يومِ يُبعَثون» تصريح لا غموض فيه بوجود حياة متوسطة بين الموت والبعث، وإنّما سميت

ص:۳۹

برزخاً لكونها حائلًا بين الـدنيا والآخرة، ولا تتحقق الحيلولـة إلّابأن يكون للإنسان واقعيـة فى هـذا الحدّ الفاصل، إذ لو كان الإنسان بين هاتين الفترتين معدوماً لماصحّ أن يقال بين الحالتين برزخٌ، وهو حائل وفاصل بين الإنسان فى الدنيا والإنسان فى الآخرة.

الآيـة السابعة:

«ولَوْ تَرى إذ الظّالمونَ فى غَمَرات المَوتِ والمَلائكةُ باسِطوا أيدِيهِمْ أخْرِجُوا أنفُسَكُمُ اليومَ تُجزَونَ عَذابَ الهُونِ بِما كُنتمْ تَقولُونَ عَلى اللَّهِ غيرَ الحَقِّ وكُنتُمْ عنْ آياتِهِ تَستَكْبِرونَ» (الأنعام/ ۹۳).

والاستدلال بالآيـة على بقاء الروح بعد فناء الجسد من طريقين:

أ- قوله «أخرجوا أنفسـكم»صريح فى أنّ الملائكة تنتزع الروح من البدن ويعنى هذا أنّ المتروك هو البدن، وأمّا الروح فتؤخذ وتخرج من الجسد إخراجا.

ب- إنّ ظاهر قوله: «اليوم تُجزون عـذابَ الهُون» هو الإشارة إلى يوم الموت، وساعته، ولو كان الموت فناءً كاملًا للإنسان لما كان لهذه العبارة معنى، إذ بعد فناء الإنسان فناءً كاملًا شاملًا لا يمكن أن يحسّ بشىء من العذاب.

ومن هنا يتبيّن أنّ الفانى إنّما هو الجسد، وأمّا الروح فتبقى وترى العذاب الهون وتذوقه وتحسّ به.

قال العلّامـة الطباطبائى فى تفسـير هـذه الآيـة: إنّ كلامه تعالى ظاهر فى أنّ النفس ليست من جنس البـدن، ولا من سـنخ الأُمور المادية الجسمانية، وإنّما لها سنخ آخر من الوجود يتّحد مع البدن ويتعلّق به

ص:۴۰

نوعاً من الاتحاد والتعلّق غير مادّى.

فالمراد بقوله: «أخرجوا أنفسكم» قطع علقة أنفسهم من أبدانهم وهو الموت «(۱)».

الآية الثامنة:

«ولَوْ تَرى إذْ يَتوفّى الَّذينَ كَفَروا الملائِكَةُ يَضْرِبونَ وُجُوهَهُمْ وأَدْبارَهُمْ وذُوقُوا عَذابَ الحريقِ ذلكَ بِما قَدَّمَتْ أيديكُمْ وأَنَّ اللَّهَ ليسَ بِظَلّامٍ لِلعَبيد» (الانفال/ ۵۰-/ ۵۱).

تدلّ الآية على أنّ الكافرين يعذَّبون حين الموت بوجهين:

الأول: بضرب الملائكة، وجوههم وأدبارهم، وقد أُشير إليه فى آية أُخرى أيضاً، قال سبحانه: «فَكيفَ إذا تَوفَّتهُمُ الملائكةُ يَضرِبونَ وُجوهَهُمْ وأدبارَهُمْ» (محمد/ ۲۷).

الثانى: بعذاب الحريق، الذى يدل عليه قوله سبحانه: «ذُوقوا عَذابَ الحريقِ»، فالآية تدلّ على أنّ هناك عذابين منفصلين موضوعاً ومحمولًا، فالعذاب الأول موضوعه الجسد، والثانى موضوعه روح الإنسان المنتقل إلى الحياة غير الدنيوية.

الآية التاسعة:

قال سبحانه: «مِمّا خطيئتهم أُغرِقُوا فأُدْخِلُوا ناراً فَلَمْ يَجدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أنصارا» (نوح/ ۲۵) والآية نازلة فى شأن قوم نوح الذين غرقوا لخطيئاتهم أوّلًا، «فأُدخلوا ناراً» ثانياً.

۱- الطباطبائى: الميزان ج ۷/ ۲۸۵.

ص:۴۱

ومن المفسرين من فسر الجملة الثانية بنار الآخرة ويقول: جيء بصيغة الماضى لكون تحقّقه قطعياً «(۱)». ولكنّه بعيد، لأنّ ظاهر الآية كون الدخول فى النار متّصلًا بغرقهم لا منفصلًا، بشهادة تخلّل لفظة «فاء» وإلّا كان اللازم التعبير ب «ثم».

الآية العاشرة:

قوله سبحانه: «قالُوا رَبّنا أَمَتَّنَا اثنَتينِ وأَحْيَيتنا اثنَتَينِ فَاعترَفنا بِذُنوبِنا فَهلْ إلى خروجٍ مِنْ سَبيل» (غافر/ ۱۱) الآية تدلّ بوضوح على أنّه مرّت على الإنسان المحشور يوم القيامه، إماتتان وإحياءان.

فالإماتة الأُولى: هى الإماتة الناقلة للإنسان من الدنيا.

والإحياء الأول: هو الإحياء بعد الانتقال منها.

والإماتة الثانية: قُبيل القيامة عند نفخ الصور الأول.

والإحياء الثانى: عند نفخ الصور الثانى.

قال سبحانه: «ونُفِخَ فِى الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فى السَّموات وَمنْ فى الأرضِ إلّامَنْ شاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فيهِ أُخرى فإذا هُمْ قِيامٌ يَنظُرُون» (الزمر/ ۶۸).

وعلى ما ذكرنا فكل من الإحياءَين لاصلة له بالدنيا، بل يتحققان بعد الانتقال من الدنيا، أحدهما فى البرزخ بعد الإماتة فى الدنيا، والآخر يوم البعث بعد الإماتة بنفخ الصور الأول.

وعندئذٍ تتضح دلالة الآية على الحياة البرزخية بوضوح.

نعم لم يتعرض القائلون بالحياة الدنيوية ولم يقولوا «وأحييتَنا

۱- الطبرسى: مجمع البيان ۵/ ۳۶۴.

ص:۴۲

ثلاثاً» وإن كانت إحياء لكونها واقعة بعد الموت الذى هو حال عدم ولوج الروح، ولعلّ الوجه هو أنّ الغرض تعلّق بذكر الإحياء الذى يعدّ سبباً للإيقان بالمعاد ومورِّثاً للإيمان وهو الاحياء فى البرزخ ثم يوم القيامة، وأمّا الحياة الدنيوية، فإنّها وإن كانت إحياء بلا شكّ لكنّها لا توجب بنفسها يقيناً بالمعاد، فقد كانوا مرتابين فى المعاد وهم أحياء فى الدنيا «(۱)».

تفسير خاطئ للآية:

إنّ بعض المفسّرين فسّروا الآية بالنحو التالى:

الإماتة الأُولى: حال النطفة قبل ولوج الروح.

الإحياء الأول: حال الإنسان بعد ولوجها فيها.

الإماتة الثانية: إماتته فى الدنيا.

والإحياء الثانى: إحياؤه يوم القيامة للحساب.

وعندئذ تنطبق الآية على قوله سبحانه «كَيفَ تَكفُرونَ باللَّهِ وكُنتُمْ أمواتاً فَأحياكُمْ ثُمّ يُميتُكُم ثمَّ يُحْيِيكُمْ ثمَّ إليه تُرجَعون» (البقرة/ ۲۸) «(۲)».

ولكنّه تفسير خاطئ وقياس باطل.

أمّا كونه خاطئاً، فلأنّ الحالة الأُولى للإنسان أى حالته قبل ولوج الروح فى جسده لا تصدق عليها الإماتة، لأنّه فرع سبق الحياة، والمفروض عدمه.

وأمّا كونه قياساً باطلًا، فلأنّ الآيتين مختلفتان موضوعاً، إذ

۱- الطباطبائى: الميزان ۱۷/ ۳۱۳.

۲- الكشاف ۳: ۳۶۳ ط دار المعرفة- بيروت

ص:۴۳

المـأخوذ والوارد فىالآيـة الثانيـة هو لفظـة «الموت» ويصـحّ تفسـيره بحال النطفـة قبل ولوج الروح، بخلاف الوارد فى الآيـة الأُولى، إذ الوارد فيها «الإماتة» فلا يصح تفسيره بتلك الحالة التى لم يسبقها الإحياء.

ولأجل ذلك يصحّ تفسير الآية الثانية بالنحو التالى:

۱- كنتم أمواتاً: الحالة الموجودة فى النطفة قبل ولوج الروح.

۲- فأحياكم: بولوج الروح فيها ثم الانتقال من البطن إلى فسيح الدنيا.

۳- ثمّ يُميتُكم: بالانتقال من الدنيا إليصوب الآخرة.

۴- ثم يُحييكُم: يوم البعث للحساب والجزاء.

وبما أنّ موقف الآيتين مختلفان هـدفاً وغايـة، اختلف السـياقان، فصارت احـداهما تلمـح بالحياة المتوسـطة بين الدنيا والآخرة (البرزخ) دون الأُخرى، ولا ملزم لتطبيق إحداهما على الأُخرى بعد اختلافهما فى الموضوع والغاية.

تلك عشـرة كاملـة تورث اليقين، باسـتمرار الحياة بعـد الانتقال من الـدنيا، ولا ينكر دلالتها إلّاالجاحـد، وليس ما يـدل من الآيات على بقائها بعـد الموت منحصـراً فى هـذه الآيات العشـر، بل هناك مجموعـة من الآيات تصـلح للاسـتدلال على المقصود، مثل: «وكـذلكَ جَعلناكُمْ أُمّةً وَسـطاً لتكُونُوا شُـهَداء على النّاسِ، ويكونَ الرسولُ عليكُمْ شَهيداً» (البقرة/ ۱۴۲)، وقوله سـبحانه: «فَكيفَ إذا جِئْنا منْ كلِّ أُمةٍ بِشَهيدٍ وجِئنا بكَ على هؤلاء شَهيداً» (النساء/ ۴۱) «(۱)»

لكنّا نقتصر عليها روماً للإختصار.

۱- فلو قلنا: بأن موت النبىّ صلى الله عليه و آله عبارة عن فنائِه المطلق، فما معنى كونه شهيداً على أُمته فى تمام الأجيال؟.

ص:۴۴

وأمّا الاستدلال بالسنّة الشريفة على أنّ الموت ليس بمعنى فناء الإنسان برأسه، وإنّما هو الانتقال من دار إلى دار، فسيوافيك قسم من الروايات فى الفصل التالى المتكفّل لبيان وجود الصلة بين أهل الدنيا والنازلين فى البرزخ، بحيث يسمعون كلامهم ويجيبون دعاءهم وإن كنّا نحن غير سامعين ولا فاهمين.

ولا عجب فى أن يكون هناك رنين أوصراخ وكنّا بمعزل عن السمع والفهم، قال سبحانه: «وإنْ مِنْ شَىء إلّايُسبِّحُ بِحمدِهِ ولكنْ لا تَفقَهونَ تَسبيحَهُمْ إنّهُ كانَ حَليماً غَفورا» (الإسراء/ ۴۴).

ص:۴۵

الفصل الثالث وجود الصلة بين الحياة الدنيوية والحياة البرزخيّة

اشارة

لا ـ أظنّ أنّ مسلماً ملمّاً بالقرآن والسنّة ينكر وأنّ للإنسان بعد موته وقبل بعثه حياة متوسطة بين الدنيا والآخرة، وهو فيها بين مرتاح ومنعَّم، ومتعب معذّب.

ولكن الجدير بالدراسة، فى ضوء الكتاب والسنّة، هو تبيين الصلة بين الحياتين، وانّ البرزخيين غير منقطعين عمّا يجرى فى الحياة الدنيوية، وإنهم يسمعون إذا دُعُوا، ويجيبون إذا سُئلوا، بإذنٍ منه سبحانه، والبرزخ وإن كان بمعنى المانع والحائل، لكنّه حائل عن الرجوع إلى الدنيا الذى نفاه سبحانه بصريح كلامه عندما طلب لفيف من الظالمين الرجوعَ إلى الدنيا لتدارك ما فات منهم من العبادة والطاعة قائلين: «ربِّ ارجِعونِ لَعلّى أعملُصالحاً فيما تركتُ»، فأُجيبوا بالحرمان بقوله: «كلّاً» (المؤمنون/ ۹۹-/ ۱۰۰) وليس بمانع عن السماع والاستماع ولا عن السؤال والجواب، كل ذلك بإذن منه سبحانه.

وتدل على وجود الصلة بين الحياتين بهذا المعنى، مجموعة من

ص:۴۶

الآيات وقسم وافر من الروايات نأتى فى المقام بصريحهما، حتى يُزال الشك عن المرتاب.

١- النبىّ صالح يكلّم قومه بعد هلاكهم:

أخبر اللَّه تعالى فى القرآن الكريم عن النبيّصالح عليه السلام أنّه دعا قومه إلى عبادة اللَّه، وترك التعرّض بمعجزته (الناقة) وعدم مسّها بسوءٍ، ولكنّهم عقروا الناقة وعتوا عن أمر ربّهم:

«فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجفةُ فأصبَحوا فى دارِهِمْ جاثِمينَ فَتولَّى عَنهمْ وقالَ يا قومِ لَقدْ أبلغتُكُمْ رِسالةَ رَبِّى ونَصحتُ لَكُمْ ولكنْ لا تُحبُّونَ الناصحينَ» (الأعراف/ ٧٨- ٧٩).

ترى انّ اللَّه تعالى يخبر على وجه القطع والبتّ بأنّ الرجفة أهلكت أُمةصالح عليه السلام فأصبحوا فى دارهم جاثمين، وبعد ذلك يخبر أنّ النبيّصالحاً تولّى عنهم ثم خاطبهم قائلا: «لَقد ابلغتُكُمْ رسالةَ ربِّى ونَصحتُ لَكمْ ولكنْ لا تُحبُّونَ النّاصِحين».

والخطابصدر منصالح لقومه بعد هلاكهم وموتهم بشهادة جملة «فتولّى» المصدرة بالفاء المشعرة بصدور الخطاب عقيب هلاك القوم.

ثم إنّ ظاهر قوله: «ولكنْ لا تُحبُّونَ النّاصحينَ»، يفيد أنّهم بلغت بهم العنجهية أن كانوا لا يحبُّونَ النّاصحينَ حتى بعد هلاكِهِمْ.

٢- النبى شعيب يخاطب قومه الهالكين:

لم تكن قصة النبيّصالح هى القصة الوحيدة من نوعها فى القرآن

ص:۴۷

الکریم، فقد تبعه فی ذلک شعیب إذ خاطب قومه بعد أن عمّهم الهلاک قال سبحانه:

«فأخَذَتْهُمُ الرَّجفةُ فأصَبحوا فی دارِهِمْ جاثِمینَ الَّذِینَ کذَّبوا شُعیباً کأنْ لَمْ یَغْنَوْا فِیها الَّذینَ کذَّبوا شُعَیباً کانُوا همُ الخاسرینَ فَتولَّی عَنهُمْ وقالَ یا قَومِ لقدْ أبلغتُکُمْ رِسالاتِ رَبِّی ونَصحتُ لَکُمْ فَکیفَ آسی عَلی قومٍ کافرین» (الأعراف/ ۹۱- ۹۳).

وهکذا یخاطب شعیب قومه بعد هلاکهم ویکونصدور هذا الخطاب بعد هلاکهم بالرجفة.

فلو کان الاتصال غیر ممکن، وغیر حاصل، ولم یکن الهالکین بسبب الرجفة سامعین لخطابصالح وشعیب فما معنی خطابهما لهم؟

أیصح أن یفسّر ذلک الخطاب بأنّه خطاب تحسّر وإظهار تأسّف؟

کلّا، إنّ هذا النوع من التفسیر علی خلاف الظاهر، وهو غیرصحیح حسب الأُصول التفسیریة، وإلّا لتلاعب الظالمون بظواهر الآیات وأصبح القرآن الکریم لعبة بید المغرضین، یفسرونه حسب أهوائهم وأمزجتهم.

علی أنّ مخاطبة الأرواح المقدسة لیست أمراً ممتنعاً فی العقل حتی تکون قرینة علیه.

۳- النبی یأمر بالتکلّم مع الأنبیاء:

جاء فی الذکر الحکیم قوله تعالی لنبیّه:

«واسألْ مَنْ أرسَلْنا مِنْ قَبلِکَ مِن رُسُلِنا أجَعلْنا مِنْ دُونْ الرَّحمنِ آلهةً یُعبَدون» (الزخرف/ ۴۵).

ص:۴۸

ترى أنّ اللّه سبحانه يأمر النبىّ الأكرم بسؤال الأنبياء الذين بُعِثُوا قبله، ومن التأويل الباطل إرجاعها إلى سؤال علماء أهل الكتاب استظهاراً من قوله سبحانه: «فإنْ كنتَ فى شكٍّ مِمّا أنزْلنا إليكَ فاسألِ الَّذِينَ يقرأُونَ الكِتابَ مِنْ قَبلِكَ لقدْ جاءكَ الحقُّ مِنْ ربِّكَ فلا تَكونَنَّ مِنَ المُمتَرينَ ولا تكونَنَّ مِنَ الَّذينَ كذَّبوا بِآياتِ اللّه فتكونَ مِنَ الخاسِرينَ» (يونس/ ۹۴- ۹۵).

وقوله سبحانه: «فاسألْ بَنى إسرائيلَ إذْ جاءهُمْ فقالَ لَهُ فِرعونُ إنى لأَظُنُّكَ يا موسى مَسحُورا» (الإسراء/ ۱۰۱).

ووجه البطلان هو: أنّ الخطاب فى الآية الأُولى وان كان متوجّهاً إلى النبىّ لكن المقصود هو الأُمة بقرينة قوله: «ولا تَكُونَنَّ منَ المُمتَرين» و «ولا تكونَنَّ من الَّذين كذَّبوا».

ومثلها الآية الثانية، فالخطاب وإن كان للنبى وأمره سبحانه بأنّ يسأل بنى إسرائيل عن الآيات النازلة إلى موسى، ولكنّه من قبيل «إياك أعنى واسمعى يا جارة» والنبىّ أجلّ وأعظم من أن يشكل عليه شىء ويسأل علماء بنى إسرائيل عمّا أشكل عليه.

هاتان الآيتان راجعتان إلى سؤال الأُمة علماءَ بنى إسرائيل وقرّاء كتبهم، وهذا بخلاف قوله: «اسأل مَنْ أرسَلْنامن قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنا» فإنّه خطاب للنبىّ حقيقة.

وأمّا ما هو الوجه فى سؤال الأنبياء فى مجال التوحيد أى قوله:

«أجَعَلنا منْ دون الرّحمن آلهةً يعبدون»، فقد ذكره المفسرون، وأنّهصلى الله عليه و آله تكلم مع الأنبياء السالفين ليلة المعراج.

ص:۴۹

۴- السلام على الأنبياء:

إنّ القرآن الكريم يسلّم على الأنبياء فى مواضع متعدّدة ويقول:

۱- «سَلامٌ عَلى نُوحٍ فى العالَمينَ».

۲- «سَلامٌ على إبراهيمَ».

۳- «سَلامٌ على مُوسى وهارونَ». ۴- «سَلامٌ عَلى إلْ ياسينَ». ۵- «وسَلامٌ عَلى المُرسَلين» (الصافّات/ ۷۹، ۱۰۹، ۱۲۰، ۱۳۰ و ۱۸۱).

ولا شكّ أنّ ما ورد فيها ليس سلاماً سطحيّاً أجوف، بل هو سلام حقيقىّ وتحيّة جديدة يوجّهها القرآن إلى أنبياء اللّه ورسله.

وهل يصحّ التسليم الجدّى على الجماد الذى لا يَعرف ولا يُدرك ولا يشعر؟! وليس لنا تفسيرالمفاهيم القرآنية النابعة عن الحقيقة تفسيراً قشرياً، بأن نقول:

إنّ كافة التحيات فى القرآن والتى نتلوها فى آناء الليل وأطراف النهار ليست إلّامجاملات جوفاء وفى مستوى تحيات المادّيين لرفقائهم وزملائهم الذين أدركهم الموت.

إنّ المادّى لمّا يسوِّ الوجودَ بالمادة ولا يرى لورائها حقيقة، فعندما يسلّم فى محاضراته وشعاراته على زملائه الميّتين يعود ويفسره بالتكريم الأجوف.

وأمّا نحن المسلمين، فبما أنّ الوجود عندنا أعمّ من المادة وآثارها، فليس علينا تفسير الآيات تفسيراً مادّياً خارجاً عن الإطار المحدّد فى الكتاب والسنّة لتفسير الذكر الحكيم، وهذا ما يبعثنا على تفسير تلك التسليمات بنحو حقيقى، وهو يلازم حياة المسلَّم إليهم

ص:۵۰

ووجود الصلة بيننا وبينهم، سلام اللّه عليهم أجمعين.

هذا هو ما يرشدنا إليه الوحى فى مجال إمكان ارتباط الأحياء بالأرواح.

السنّة الشريفة والصلة بين الحياتين:

اشارة

ما تلوناه عليك كان مجموعة من الآيات الناصعة الدالّة على وجود الصلة بين الحياتين، وأنّ قسماً من الأنبياء تكلّموا مع البرزخيين.

وأمّا السنّة الشريفة، فهناك روايات وافرة دالّة على ما نتوخّاه نأتى بقسم منها:

۱- النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله يكلّم أهل القليب:

لقد انتهت معركة بدر بانتصار عظيم فى جانب المسلمين وهزيمة نكراء فى جانب المشركين.

فقد غادر المشركون ساحة القتال هاربينصوبَ مكة مخلِّفين وراءهم سبعين قتيلًا منصناديدهم وساداتهم، ووقف النبىّ يخاطب القتلى واحداً واحداً ويقول:

«يا أهل القليب، يا عتبة بن ربيعة، ويا شيبة بن ربيعة، ويا أُمية بن خلف، ويا أبا جهل (وهكذا عدّد من كان منهم فى القليب) هل وجدتم ما وعدكم ربّكم حقّاً، فإنى قد وجدتُ ما وعدنى ربّى حقّا».

فقال له بعض أصحابه: يا رسول اللّه أتنادى قوماً موتى؟

فقالصلى الله عليه و آله:

«ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنّهم لا يستطيعون أن

ص:۵۱

يجيبونى».

وكتب ابن هشام يقول: إن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أضاف بعد هذه المقالة وقال:

«يا أهل القليب، بئس عشيرة النبيّ كنتم لنبيكم، كذّبتمونى وصدّقنى الناس، وأخرجتمونى وآوانى الناس، وقاتلتمونى ونصرنى الناس».

ثمّ قال: «هل وجدتم ما وعدكم ربّى حقّا» «(۱)».

روى البخارى عن نافع أنّ ابن عمر- رضى اللَّه عنهما- أخبره قال:

اطّلع النبيصلى الله عليه و آله على أهل القليب فقال: «وجدتم ما وعد ربكم حقاً»، فقيل له: تدعوا امواتاً، فقال: «ما أنتم باسمعَ منهم، ولكن لا يجيبون».

ثم روى عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة- رضى اللَّه عنها- قالت: إنما قال النبيّصلى الله عليه و آله: «إنّهم ليعلمون الآن أنّ ماكنت أقول حقّ»، وقد قال اللَّه تعالى: «إنّك لا تُسمِعُ المَوتى» «(۲)».

ولا يذهب عليك أنّ السيدة عائشة سلّمت الحياة البرزخية لهم، ولذلك قالت: إنّ النبيّ قال: «إنهم ليعلمون الآن أنّ ما كنت أقول حق» ولكنها نفت ان يقول النبيّ «ما أنتم بأسمع منهم ولكن لا يجيبون» من دون أن تسنده إلى قائل حاضر فى الواقعة، وإنّما استنبطت قولها من الآية الكريمة، ومن المعلوم أنّ ابن عمر يدّعى السماع عن النبيّ، أو عمّن سمعه منهصلى الله عليه و آله ولا يعارضه، استنباطها، وإنما يكون نظرها حجة على نفسها لا على من عاين وشهد تكلم النبى معهم.

۱- السيرة النبوية: ج ۱ ص ۶۴۹، السيرة الحلبية: ج ۲ ص ۱۷۹ و ۱۸۰ وغيرهما.

۲- البخارى: الصحيح الجزء ۹ كتاب الجنائز باب ما جاء فى عذاب القبر ص ۹۸.

ص:۵۲

أضف إلى ذلك أنّه لاصلة للآية بما تدّعيه، كما سيوافيك.

ولأجل التأكيد عليصحة القصة نأتى أيضاً بنصّصحيح البخارى فى باب معركة بدر (غير كتاب الجنائز) ونردفه بذكر مصادر أُخرى، وما ظنّك بأمر يرويه الإمام البخارى ولفيف من المحدثين قال:

وقف النبيصلى الله عليه و آله على قليب «بدر» وخاطب المشركين الذين قُتلوا وأُلقيت جثثهم فى القليب: «لقد كنتم جيران سوء لرسول اللّه، أخرجتموه من منزله، وطردتموه، ثم اجتمعتم عليه فحاربتموه، فقد وجدت ما وعدنى ربّى حقّا»، فقال له رجل: يا رسول اللّه ما خطابك لهم؟

فقالصلى الله عليه و آله: «واللّه ما أنتم بأسمع منهم وما بينهم وبين أن تأخذهم الملائكة بمقامع من حديد إلّاأن أعرض بوجهى عنهم».

وقد أنشد حسان قصيدة بائية رائعة حول وقعة بدر الكبرى يشير فى بعض أبياتها إلى هذه الحقيقة أعنى قصة القليب إذ يقول:

يناديهم رسول اللّه لمّا قذفناهم كباكب فى القليبِ

ألم تجدوا كلامى كان حقّا وأمر اللّه يأخذ بالقلوبِ

فما نطقوا ولو نطقوا لقالواصدقت وكنت ذا رأى مصيبِ

على أنّه لاتوجد عبارة أشدّصراحة ممّا قاله رسول اللّهصلى الله عليه و آله فى المقام حيث قال: «ما أنتم بأسمع منهم»، وهل ثمة بيان أكثر إيضاحاً وأشد تقريراً لهذه الحقيقة من مخاطبة النبيصلى الله عليه و آله لواحد واحد من أهل القليب، ومناداتهم بأسمائهم، وتكليمهم كما لو كانوا على قيد الحياة؟!

فلا يحق لأىّ مسلم مؤمن بالرسالة والرسول أن يسارع إلى إنكار هذه القضية التاريخية الإسلامية المسلّمة ويبادر قبل التحقيق ويقول: إنّ هذه القضية غيرصحيحة لأنّها لا تنطبق على عقلية المادّى المحدودة.

ص:۵۳

وقد نقلنا هنا نصّ هذا الحوار، لکی یری المسلمون الناطقون باللغة العربیة کیف أنّ حدیث النبیّصلی الله علیه و آله یصرّح بهذه الحقیقة بحیث لا توجد فوقه عبارة فی الصراحة والدلالة علی هذه الحقیقة.

ومن أراد الوقوف علی مصادر هذه القصة فعلیه أن یراجع ما ذکرناه فی الهامش أدناه «(۱)».

۲- الإمام علیّ علیه السلام یکلّم رؤساء الناکثین:

إنّ الإمام علیاً علیه السلام بعد أن وضعت الحرب فی معرکة الجمل أوزارها مرّ علی کعب بن سور وکان قاضی البصرة فقال لمن حوله:

«أجلسوا کعب بن سور» فاجلسوه بین شخصین یمسکانه- وهوصریع- فقال علیه السلام: «یا کعب بن سور قد وجدت ما وعدنی ربّی حقّا فهل وجدت ما وعدک ربُک حقّا»؟ ثم قال: «أضجعوه».

ثم سار قلیلًا حتی مرّ بطلحة بن عبید اللّهصریعاً فقال: «أجلسوا طلحة» فأجلسوه، فقال علیه السلام: «یا طلحة قد وجدت ما وعدنی ربّی حقّاً فهل وجدت ما وعدک ربّک حقّا»؟ ثم قال: «أضجعوا طلحة».

فقال له رجل: یا أمیر المؤمنین ما کلامک لقتیلین لا یسمعان منک؟ فقال علیه السلام: «یا رجل، واللّه لقد سمعا کلامی، کما سمع أهل القلیب کلام رسول اللّه» «(۲)».

۱- صحیح البخاری ج ۵ معرکة بدر ص ۷۶، ۷۷، ۸۶، ۸۷، صحیح مسلم ج ۸ کتاب الجنة باب معتمد المیت/ ۱۶۳، سنن النسائی ج ۴ باب أرواح المؤمنین ص ۸۹/ ۹۰، مسند الإمام أحمد ج ۲/ ۱۲۱، المغازی للواقدی غزوة بدر وغیرها.

۲- المفید، الجمل/ حق الیقین للسید عبد اللّه شبر ۲/ ۷۳.

ص:۵۴

۳- السلام على النبيّصلى الله عليه و آله فى ختام الصلاة؛

إنّ جميع المسلمين فى العالم- بالرغم من الخلافات المذهبية بينهم فىفروع الدين- يسلّمون على رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم فى الصلاة عند ختامها فيقولون:

«السلام عليك أيّها النبىّ ورحمة اللّه وبركاته»

وقد أفتى الشافعى وآخرون بوجوب هذا السلام بعد التشّهد، وأفتى الآخرون باستحبابه، لكن الجميع متفقون على أنّ النبيصلى الله عليه و آله علّمهم السلام وأن سنة النبى ثابتة فى حياته وبعد وفاته «(۱)».

والسؤال الآن: اذا كانتصلتنا وعلاقتنا بالنبيصلى الله عليه و آله قد انقطعت بوفاته، فما معنى مخاطبته والسلام عليه يومياً؟!

۴- الميت يسمع قرع النعال:

الميت يسمع كلام من يتكلم قرب قبورهم لا بجسمه، بل بروحه التى كانت لها ارتباط وإشعاع على الجسم، ولا يعنى أنّها داخلة فى قبره كما كانت فى حياته ملازمة لجسمه ومعلقة به، بل المراد أنّ لها ارتباطاً وإشعاعاً على الجسم الذى فارقه، ويدل على ذلك:

ما رواه البخارى عن أنس بن مالك أنّه حدّثهم عن رسول اللّه (ص) قال: «إنّ العبد إذا وضع فى قبره وتولّى عنه أصحابه حتى أنّه ليسمع قرعَ نعالهم، أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول فى هذا الرجل محمّد (ص)؟ فيقول: أشهد أنّه عبد اللّه ورسوله، فيقال له: انظر

۱- راجع كتاب تذكرة الفقهاء، ج ۳: ۲۳۳ المسألة، ۲۹۴، وكتاب الخلاف للشيخ الطوسى: ج ۱ ص ۴۷، لمعرفة أقوال المذاهب والفقهاء فى هذا المجال.

ص:۵۵

إلى مقعدك من النار قد أبدلك اللّه بهٔ مَقعداً فی الجنهٔ فیراهما جمیعا، وأمّا الکافر والمنافق فیقول: لا أدری، کنت أقول کما یقول الناس، فیقال: لا دَریتَ ولا تَلَیتَ، ثم یُضرب بمطارقهٔ من حدید ضربهٔ بین اذنیه، فیصیحصیحهٔ یسمعها من یلیه إلّاالثقلین» «(۱)».

وجه الاستدلال به أنه قال: «وانه لیسمع قرع نعالهم»، فالمیت إذاً یسمع قرع النعال، فالکلام من باب أوْلی.

۵- قول الميت عند حمل الجنازة:

روی البخاری فیصحیحه عن أبی سعید الخدریّ (رض): أنّ رسول اللّهصلی الله علیه و آله قال: «إذ وضعت الجنازة واحتملها الرجال علی أعناقهم فإن کانتصالحهٔ قالت قدّمونی، وإنّ کانت غیرصالحهٔ قالت: یاویلی أین تذهبون بها، یسمعصوتها کل شیء إلّاالإنسان ولو سمعه لصعق» «(۲)».

۶- النبیّ صلی الله علیه و آله یسلّم علی الأموات:

روی مسلم عن عائشهٔ أنّها قالت: کان رسول اللّهصلی الله علیه و آله کلّما کان لیلتَها فی رسول اللّهصلی الله علیه و آله یخرج آخر اللیل إلی البقیع فیقول: «السلام علیکم دارَ قوم مؤمنین وآتاکم ما توعدون، غداً مؤجلون وإنّا إن شاء اللّه

۱- البخاری: الصحیح ج ۲/ ۹۰ باب المیت یسمع خفق النعال، ولاحظ فی تفسیرالحدیث فتح الباری لابن حجر العسقلانی ۳/ ۱۶۰، وشرح الکرمانی ۷/ ۱۱۷.

۲- البخاری: الصحیح، الجزء ۲/ ۸۶ رواه فی ما بین: حمل الرجال الجنازة دون النساء ص ۸۵ وباب قول المیت وهو علی الجنازة« قدمونی»، لاحظ شرح الحدیث فی فتح الباری ۳/ ۱۴۴ وشرح الکرمانی ۷/ ۱۰۴.

ص:۵۶

بكم لاحقون، اللّهمّ اغفر لأهل بقيع الغرقد» «(۱)».

فلو كان الأموات لا يسمعون كالجماد يكون السلام عليهم عبثاً، وأين منزلة نبيّ الحكمة من العبث وقد تضافر أنّ النبيّ كان يمارس زيارة البقيع.

وبذلك يعلم أنّ المقصود من الموت فى المقام هو وقف سريان الدم فى الأوردة، والشرايين فى جسم الإنسان، وهو الممد بجوارحه وحواسه بالحركة والشعور والإحساس، والمحرّك الرئيس لها هو القلب والرئتان بواسطة التنفّس.

وأمّا ما يرجع إلى واقع الإنسان وشخصيته الحقيقية وهو الجوهر، المدرك المفكر فهو باق عالم شاعر.

٧- تعذيب الميت فى القبر:

روى البخارى عن ابنة خالد بن سعيد بن العاص أنّها سمعت النبيّ وهو يتعوّذ من عذاب القبر.

وروى عن أبى هريرة كان رسول اللّه يدعو: «اللّهمّ إنّى أعوذ بك من عذاب القبر ومن عذاب النار ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة الشيخ الدجال» «(۲)».

وفيصحيح مسلم وجميع السنن عن أبى هريرة أنّ النبيّ قال: «إذا فرغ أحدكم من التشهّد الأخير فليتعوذ باللّه من أربع: من عذاب جهنم،

۱- مسلم: الصحيح ۷/ ۴۱.

۲- البخارى: الصحيح الجزء ۲/ ۹۹، ولاحظ فى شرح الأحاديث فتح البارى لابن حجر ۳/ ۱۸۸.

ص:۵۷

ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة الدجال».

وفيصحيح مسلم أيضاً وغيره عن ابن عباس أنّ النبيّ كان يعلّمهم هذا الدعاء كما يعلّمهم السورة من القرآن: اللّهمّ إنّى أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات وأعوذ بك من فتنة الدجال «(۱)».

كلام لإبن عبد البر فى المقام:

قال ابن عبد البر ثبت عن النبى صلى الله عليه و آله أنّه قال: «ما من مسلم يمر على قبر أخيه كان يعرفه فىالدنيا فيسلّم عليه إلّاردّ اللّه عليه روحه حتّى يرد عليه السلام». فهذا نص فى أنّه يعرفه بعينه ويرد عليه السلام.

وفى الصحيحين عنه صلى الله عليه و آله من وجوه متعددة أنّه أمر بقتلى بدر فالقوا فى قليب، ثم جاء حتى وقف عليهم وناداهم بأسمائهم «يا فلان ابن فلان، ويا فلان ابن فلان هل وجدتم ما وعدكم ربّكم حقّا، فإنّى وجدت ما وعدنى ربّى حقّا» فقال له عمر: يا رسول اللّه ما تخاطب من أقوام قد جُيّفوا فقال: «والذى بعثنى بالحقّ ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنّهم لا يستطيعون جوابا».

وثبت عنهصلى الله عليه و آله أنّ الميت يَسمع قرعَ نعال المشّيعين له، إذا انصرفوا عنه.

وقد شرّع النبيصلى الله عليه و آله لأُمته إذا سلّموا على أهل القبور أن يسلّموا عليهم سلام من يخاطبونه فيقول: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين» وهذا

۱- ابن القيم: الروح/ ۵۲ وقد بسط الكلام فى إثبات الموضوع واحاط بأطرافه ومن أراد التوسع فليرجع إلى كتابه.

ص:۵۸

خطاب لمن يسمع ويعقل- ولولا ذلك لكان هذا الخطاب بمنزلة خطاب المعدوم والجماد.

والسلف مجمعون على هذا وقد تواترت الآثار عنهم بأنّ الميت يعرف زيارة الحيّ له ويستبشر به.

قال أبو بكر عبد اللَّه بن محمّد بن عبيد بن أبى الدنيا فى كتاب القبور باب معرفة الموتى بزيارة الأحياء:

(حدثنا) محمّد بن عون: حدثنا يحيى بن يمان، عن عبد اللَّه بن سمعان، عن زيد بن أسلم، عن عائشة رضى اللَّه تعالى عنها قالت: قال رسول اللَّهصلى الله عليه و آله: «ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلّااستأنس به وردّ عليه حتى يقوم».

(حدثنا) محمّد بن قدامة الجوهرى: حدثنا معن بن عيسى القزاز:

أخبرنا هشام بن سعد: حدثنا زيد بن أسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: إذا مرّ الرجل بقبر أخيه يعرفه فسلّم عليه، ردّ عيه السلام وعرفه، وإذا مرّ بقبر لا يعرفه فسلّم ردّ عليه السلام. إلى غير ذلك من الروايات المتضافرة فى الصحاح والمسانيد.

ص:۵۹

الفصل الرابع الحياة البرزخية فی کلمات العلماء

کلّ من يعبأ بعلمه وتعبّده أمام النصوص من علماء الإسلامصرّحوا باستمرار الحياة بعد الإنتقال من الدنيا، نذکر من کلماتهم ما يلی:

۱- قال الإمام أحمد بن حنبل (م/ ۲۴۱): والأعور الدّجال خارج لا شکّ فی ذلک ولا ارتياب، وهو أکذب الکذابين، وعذاب القبر حّق، ويُسأل العبد عن دينه وعن رّبه ويَری مقعده من النار والجنة، ومنکر ونکير حقّ، وهما فتّانا القبور، نسأل اللّه تعالی الثبات «(۱)».

۲- وقال أبو جعفر الطحاوی (م/ ۳۲۱): (نؤمن) بعذاب القبر لمن کان له أهلًا، وسؤال منکر ونکير فی قبره عن رّبه ودينه ونبيّه، علی ما جاءت به الأخبار عن رسول اللّه وعن الصحابة رضوان اللّه عليهم، والقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران «(۲)».

۳- وقال الإمام الأشعری (۲۶۰-/ ۳۲۴): ونؤمن بعذاب القبر،

۱- الإمام أحمد: السنة/ ۵۰.

۲- أبو جعفر الطحاوی: شرح الرسالة الطحاوية لابن أبی العز قسم المتن/ ۳۹۶.

ص:۶۰

وبالحوض، وأنّ الميزان حقّ والصراط حّق، والبعث بعد الموت حقّ، وإنّ اللّه عزّ وجلّ يُوقِفُ العبادَ فى الموقف يحاسب المؤمنين «(۱)».

۴- قال البغدادى: أنكرت الجهميّة والضرارية سؤال القبر، وزعم بعض القدرية أنّ سؤال الملكين فى القبر إنّما يكون بين النفختين فى الصور وحينئذ يكون عذاب قوم فى القبر.

وقالت السالمية بالبصرة: إنّ الكفّار لا يُحاسَبون فى الآخرة.

وزعم قوم يقال لهم الوزنية: أنْ لا حساب ولا ميزان.

وأقرّت الكرّامية بكل ذلك كما أقرّ به أصحابنا، غير أنّهم زعموا أنّ منكراً ونكيراً هما الملكان اللّذان وكّلا بِكلّ إنسان فى حياته، وعلى هذا القول يكون منكر ونكير كل إنسانٌ غير منكر ونكيرصاحبه.

وقال أصحابنا: إنّهما ملكان غير الحافظين على كل إنسان «(۲)».

۵- قال البزدوى (وهو من الماتريدية): سؤال منكر ونكير فى القبر حقّ عند «أهل السنّة والجماعة»، وهما ملكان يسألان من ماتَ بعد ما حُيِّي، مَنْ ربّك وما دينُك ومن نبيّك، فيقدر المؤمن على الجواب ولا يقدر الكافر.

وفيه أحاديث كثيرة عن النبيصلى الله عليه و آله فى هذا الباب أنّ الملكين يجيئان فى القبر إلى الميت ويحيى اللّه تعالى الميت فيسألان عمّا ذكرنا «(۳)».

۶- وقال الرازى: إنّ قوله: «ويَستبشِرونَ بالَّذينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ»

۱- الإمام الأشعرى: الإبانة، الأصل ۲۶.

۲- البغدادى: أُصول الدين: ۲۴۵.

۳- الإمام أبو اليسر محمّد البزدوى ۴۲۱-/ ۴۹۳ أُصول الدين: ۱۶۵-/ المسألة ۴۹.

ص:۶۱

دليل على حصول الحياة فى البرزخ قبل البعث، مضافا إلى قوله صلى الله عليه و آله:

«القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حُفَرِ النيران» والأخبار فى ثواب القبر وعذابه كالمتواترة، وكان عليه السلام يقول فى آخر صلاته: «وأعوذ بك من عذاب القبر» إلى أن قال: الإنسان هو الروح، فإنّه لا يعرض له التفرّق والتمزّق، فلا جرم يصل إليه الألم واللذة (بعد الموت).

ثم إنّه سبحانه وتعالى يردّ الروح إلى البدن يومَ القيامة الكبرى حتى تنضم الأحوال الجسمانية إلى الأحوال الروحانية «(۱)».

۷- وقال إبن ابى العزّ الدمشقى: إنّ الدور ثلاث: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار.

وقد جعل اللّه لكلّ دارٍ أحكاماً تخّصها، وركّب هذا الإنسانَ من بدن ونفس، وجعلَ أحكام الدنيا على الأبدان والأرواح تبع لها، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبع لها، فإذا جاء يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم،صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد جميعاً.

فإذا تأملت هذا المعنى حقّ التأمل، ظهر لك أنّ كون «القبر روضة من رياض الجنّة أو حفرة من حفر النار» مطابق للعقل، وأنّه حقّ لا مِريةَ فيه، وبذلك يتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم.

ويجب أن يعلم أنّ النار التى فى القبر والنعيم ليس من جنس نار الدنيا ولا نعيمها، وإن كان اللّه تعالى يَحمى عليه الترابَ والحجارةَ التى فوقه وتحته حتى يكون أعظم حراً من جمر الدنيا، ولو مسّها أهل الدنيا لم يحسّوا بها.

۱- الرازى: التفسير الكبير ۴/ ۱۴۶ و ۱۴۹.

ص:۶۲

بل أعجب من هـذا، أنّ الرجلين يـدفن أحدهما إلى جنب صاحبه، وهذا فی حفرة من النار، وهذا فی روضة من رياض الجنة، لا يصـل من هذا إلى جاره شیء من حرّ ناره، ولا من هذا إلى جاره بشیء من نعيمه، وقدرة اللّه أوسع من ذلك وأعجب «(۱)».

وقال الرازی فی تفسير قوله: «ويَستبشـرونَ بالَّذينَ لَمْ يلحقُوا بهِمْ منْ خَلفِهِم» والقوم الـذين لم يلحقوا بهم لا بـد وأن يكونوا فی الدنيا، فاستبشارهم بمن يكون فی الدنيا لا بد وأن يكون قبل قيام القيامة، والإستبشار لا بد وأن يكون مع الحياة، فدلّ هذا على كونهم أحياء قبل يوم القيامة «(۲)».

۸- قال ابن تيميـة: الأحاديث الصـحيحة المتواترة تـدلّ على عود الروح إلى البـدن وقت السؤال، وسؤال البـدن بلا روح قول قاله طائفة من النـاس، وأنكره الجمهور، قـابلهم آخرون بـأنّ السؤال للروح بلاـ بـدن، وهـذا ما قاله ابن مرة وابن حزم، وكلاهما غلط، والأحاديث الصحيحة تردّه، ولو كان ذلك على الروح فقط لم يكن للقبر بالروح اختصاص «(۳)».

۹- قال التفتازانی: ويدل على الحياة بعد الموت قوله تعالى:

«النّارُ يُعرَضونَ عَليها غُـدوّاً وعَشـيّاً» (غافر/ ۴۶) وقوله: «أُغرقُوا فـأُدخِلُوا ناراً» (نوح/ ۲۵) وقوله: «ربّنـا أمتنـا اثنتَينِ وأحييتَنَا اثنَتَينِ» (غافر/ ۱۱).

وليست الثانية إلّافی القبر، وقوله: «يُرزقون فَرحينَ بِما آتاهُمْ اللَّهُ» (آل عمران/ ۱۶۹-/ ۱۷۰).

۱- شرح الرسالة الطحاوية/ ۳۹۶-/ ۳۹۷.

۲- الرازی: مفاتيح الغيب ۴/ ۱۴۶، ج ۹/ ۹۰.

۳- ابن القيم: الروح/ ۵۰ معبراً عن ابن تيمية ب« شيخ الإسلام».

ص:۶۳

وقوله صلی الله علیه و آله: «القبر روضة من ریاض الجنة، أو حفرة من حفر النیران».

والأحادیث فی هذا الباب متواترة المعنی.

وقال فی موضع آخر:

اتّفق الإسلامیون علی حقیة سؤال منکر ونکیر فی القبر، وعذاب الکفار وبعض العصاة فیه، ونسب خلافه إلی بعض المعتزلة.

قال بعض المتأخرین منهم: حُکی إنکار ذلک عن ضرار بن عمرو، وإنّما نسب إلی المعتزلة، وهم براء منه لمخالطة ضرار إیاهم، وتبعه قوم من السفهاء المعاندین للحق.

لنا الآیات، کقوله تعالی فی آل فرعون: «النّارُ یُعرَضُونَ عَلیها غدّواً وعشیّاً» (غافر/ ۴۶)، أی قبل القیامة، وذلک فی القبر، بدلیل قوله تعالی: «ویومَ تَقومُ الساعةُ أدخِلوا آلَ فِرعونَ أشدَّ العَذاب» (غافر/ ۴۶)، وکقوله تعالی فی قوم نوح: «أُغرِقوا فأُدخلوا ناراً» (نوح/ ۲۵)، والفاء للتعقیب، وکقوله تعالی: «ربَّنا أمَتّنَا اثنَتینِ وأحیَیتَنا اثنتَین» (غافر/ ۱۱)، وإحدی الحیاتین لیست إلّافی القبر، ولا یکون إلّانموذج ثواب أو عقاب بالإتفاق، وکقوله تعالی: «ولا تَحسبنَّ الَّذین قُتلوا فی سَبیلِ اللَّهِ أمواتاً بلْ أحیاءٌ عندَ ربِّهِمْ یُرزَقونَ فَرحینَ بِما آتاهُمْ اللَّهُ» (آل عمران/ ۱۶۹).

والأحادیث المتواترة المعنی کقولهصلی الله علیه و آله: «القبر روضة من ریاض الجنة أو حفرة من حفر النیران» وکما روی أنّه مرّ بقبرین، فقال: «إنّهما لیعذّبان ..» «(۱)»، وکالحدیث المعروف فی الملکین اللّذین یدخلان القبر ومعهما مرزبتان، فیسألان المیت عن رَبّه وعن دینه وعن نبیّه .. إلی غیر

۱- أخرجه الإمام البخاری فی کتاب الوضوء/ ۵۵، ۵۶ وکتاب الجنائز/ ۸۹.

ص:۶۴

ذلک من الأخبار والآثار المسطورة فی الکتب المشهورة، وقد تواتر عن النبیصلی الله علیه و آله استعاذته من عذاب القبر، واستفاض ذلک فی الأدعیة المأثورة «(۱)».

۱۰- وقال الشریف الجرجانی: إحیاء الموتی فی قبورهم مسألة منکر ونکیر وعذاب القبر للکافر والفاسق کلّها حقّ عندنا، اتّفق علیه سلف الأُمة قبل ظهور الخلاف، واتّفق علیه (الأکثر بعده) أی بعد ظهور الخلاف، (وأنکره) مطلقا «ضرار بن عمرو وبشر المریسی وأکثر المتأخرین من المعتزلة»، وأنکر الجبّائی وابنه والبلخی تسمیة الملکین منکراً ونکیراً وقالوا: إنّما المنکر ما یصدر من الکافر عند تلجلجه إذا سئل، والنکیر إنما هو تفریع الملکین له.

لنا فی إثبات ما هو حقّ عندنا وجهان: الأول قوله تعالی: «النّار یُعرضونَ عَلیها غدوّاً وَعشیاً ویومَ تقومُ الساعةُ أدخِلوا آلَ فِرعونَ أشدَّ العَذاب»، عطف فی هذه الآیة عذابَ القیامة علی العذاب الذی هو عرض النارصباحاً ومساءً، فعلم أنّه غیره، ولا شبهة فی کونه قبل الإنشار من القبور، کما یدل علیه نظم الآیة بصریحه، وما هو کذلک لیس غیر عذاب القبر اتّفاقا، لأنّ الآیة وردت فی حقّ الموتی، فهو هو «(۲)».

۱۱- وقال الآلوسی: إنّ حیاة الشهداء حقیقة بالروح والجسد ولکنّا لا ندرکها فی هذه النشأة «(۳)».

هذه کلمات أعلام السنّة، وإلیک کلام بعض مشایخ الشیعة

۱- التفتازانی: شرح المقاصد: ۵/ ۱۱۲/ ۱۱۴.

۲- الجرجانی: شرح المواقف ۸/ ۳۱۷ وقد مزَج کلامه مع عبارة المواقف للإیجی، فما ذکره نظریة الماتن والشارح.

۳- الآلوسی: روح المعانی ۲/ ۲۰.

ص:۶۵

الإمامية:

۱۲- قال الشيخ المفيد فى شرح عقائد الصدوق: فأمّا كيفية عذاب الكافر فى قبره وتنعّم المؤمن فيه، فإنّ الخبر أيضاً قد ورد بأنّ اللّه تعالى يجعل روح المؤمن فى قالب مثل قالبه فى الدنيا فى جنة من جناته، ينعّمه فيها إلى يوم الساعة، فإذا نفخ فى الصور أنشأ جسده الذى فى التراب وتمزّق، ثم أعاده إليه وحشره إلى الموقف وأمر به إلى جنة الخلد ولا يزال منعماً بإبقاء اللّه.

غير أنّ جسده الذى يعاد فيه لا يكون على تركيبه فى الدنيا، بل يعدل طباعه، ويحسنصورته ولا يهرم مع تعديل الطباع ولا يمسّه نصب فى الجنة ولا لغوب.

والكافر يجعل فى قالب كقالبه فى محلّ عذاب يعاقب، ونار يعذب بها حتى الساعة ثم ينشئ جسدَه الذى فارقه فى القبر فيعاد إليه فيعذّب به فى الآخرة عذاب الأبد ويركّب أيضاً جسده تركيباً لا يفنى معه «(۱)».

هذه اثنتا عشرة كلمة من أعلام السنة والشيعة تعرب عن اتفاق الأمة على استمرار الحياة بعد الانتقال عن الدنيا، أو تجديد الحياة بعده، وأن الموت ليس بمعنى بطلان الإنسان إلى يوم القيامة، بل هناك مرحلة بين المرحلتين، لها شؤون وأحكام.

ويؤيد ما ذكره، وما جرى عليه عمل الناس قديماً وإلى الآن من تلقين الميت فى قبره، ولولا أنّه يسمع ذلك وينتفع به لم يكن فيه فائدة وكان عبثاً، وقد سئل عنه الإمام أحمد رحمه الله فاستحسنه واحتجّ عليه بالعمل.

۱- المفيد: أوائل المقالات:/ ۴۹ ط تبريز، شرح عقائد الصدوق/ ۴۴ ط تبريز.

ص:۶۶

وقال ابن القیم- تلمیذ ابن تیمیة- بعد نقل ما ذکرنا عن الإمام أحمد: إنّ اتّصال العمل به فی سائر الأمصار والأعصار من غیر إنکار، کاف فی العمل به.

إلی أن قال: فلولا أنّ المخاطب یسمع، لکان ذلک بمنزلة الخطاب للتراب والخشب والحجر والمعدوم، وهذا وإن استحسنه واحد، لکن العلماء قاطبة علی استقباحه واستهجانه، وقد روی أبو داود فی سننه بإسناد لا بأس به: أنّ النبیصلی الله علیه و آله حضر جنازة رجل فلمّا دفن قال: «سلو لأخیکم التثبت فإنّه الآن یسأل»، فأخبر أنّه یسأل حینئذ، وإذا کان یسأل فانّه یسمع التلقین «(۱)».

وقال: إن إلّارواح علی قسمین: أرواح معذّبة، وأرواح منعّمة، فالمعذبة فی شغل ما هی فیه من العذاب، عن التزاور والتلاقی، والأرواح المنعّمة المرسلة غیر المحبوسة تتلاقی وتتزاور، فتکون کل روح مع رفیقها الذی هو علی مثل عملها، وروح نبینا فی الرفیق الأعلی، قال اللّه تعالی: «ومَنْ یُطِعِ اللَّهَ والرَّسولَ فأُولئکَ مع الَّذین أنعم اللّه عَلَیهم من النبیّینَ والصدِّیقینَ والشهداءِ والصالحینَ وحَسُن أولئک رَفیقاً» وهذه المعیة ثابتة فی الدنیا وفی دار البرزخ وفی دار الجزاء، والمرء مع من أحبّ فی هذه الدور الثلاثة «(۲)».

إجابة علی سؤال:

إنّ هنا سؤالًا أثاره کثیر من المفسرین وکلّ تخلّص عنه بوجه:

۱- ابن القیم شمس الدین: الروح/ ۱۳ و ۱۷ ط بیروت والآیة من سورة النساء ۶۹.

۲- ابن القیم شمس الدین: الروح/ ۱۳ و ۱۷ ط بیروت والآیة من سورة النساء ۶۹.

ص:۶۷

وهو أنّا نشاهد أجساد الموتى ميتة فى القبور، فكيف يصحّ ما ذهبتم إليه من التنعيم والتعذيب، والسؤال والإجابة؟

وهناك من تخلّص عنه زاعماً أنّ الحياة البرزخية حياة مادية بحتة، قائمة بذرات الجسد المادّى المبعثرة فى الأرض، منهم الرازى قال: أمّا عندنا فالبنية ليست شرطاً فى الحياة، ولا امتناع فى أن يعيد اللّه الحياة إلى كل واحد من تلك الذرات والأجزاء الصغيرة من غير حاجة إلى التركيب والتأليف «(۱)».

يلاحظ عليه: أنّ الإعتراف بأنّ الحياة البرزخية من أقسام الغيب الذى يجب الإيمان به وإن لم نعرف حقيقتها، أولى من هذا الجواب الغامض الذى لا يفيد القارىء شيئاً سوى أنَّ التعبّد ورد بذلك.

لكن الظاهر من أكثر أهل السنة العاكفين فى العقائد بالأخبار والآثار، أنّ هنا جسداً عليصورة الطير تتعلّق به الروح، وقد استدل له بما أخرجه عبد الرزاق، عن عبد اللّه بن كعب بن مالك قال: قال رسول اللّه: «إنّ أرواح الشهداء فيصور طير خضر معلّقة فى قناديل الجنة حتى يرجعها اللّه تعالى إلى يوم القيامة».

وفى بعض الروايات: «أنّ أرواح الشهداء فى أجواف طير خضر تعلّق من ثمر الجنة أو شجر الجنة».

أخرج مسلم فيصحيحه عن ابن مسعود: مرفوعاً: «أن أرواح الشهداء عند اللّه فى حواصل طيور خضر تسرح فى أنهار الجنة حيث

۱- الرازى: التفسير الكبير ۴/ ۱۴۵-/ ۱۴۶.

ص:۶۸

شاءت ثم تأوى إلى قناديل تحت العرش» «(۱)».

ويبدو أنّ الروايات إسرائيليات، وقد رُدّ مضمون هذه الروايات فى روايات أئمة أهل البيت، فعالجوا مشكلة الحياة البرزخية بشكل قريب إلى الأذهان، وهو خلق جسد آخر عليصور أبدانهم فى الدنيا بحيث لو رأى الرائى أحدهم فقال «رأيت فلاناً».

روى الشيخ أبو جعفر الطوسى فى تهذيب الأحكام مسنداً إلى على بن مهزيار، عن القاسم بن محمّد، عن الحسين بن أحمد، عن يونس ابن ظبيان قال: كنت عند أبى عبد اللّه (الإمام الصادق) عليه السلام جالساً فقال: «ما يقول الناس فى أرواح المؤمنين؟» قلت: يقولون: فى حواصل طير خضر فى قناديل تحت العرش، فقال أبو عبد اللّه: «سبحان اللّه، المؤمن أكرم على اللّه أن يجعل روحه فى حوصلة طائر أخضر، يا يونس المؤمن إذا قبضه اللّه تعاليصيّر روحه فى قالب كقالبه فى الدنيا فيأكلون ويشربون، فإذا قدم عليهم القادم عرفوه بتلك الصورة التى كانت فى الدنيا».

روى ابن أبى عُمر، عن حماد، عن أبى بصير قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السلام عن أرواح المؤمنين؟ فقال: «فى الجنة عليصور أبدانهم لو رأيته لقلت فلان» «(۲)».

۱- الآلوسى: روح المعانى ۲/ ۲۱.

۲- الطبرسى: مجمع البيان ۱/ ۲۳۶ ط صيدا، لاحظ الكافى للكلينى: الجزء ۳/ ۲۴۵ وبما أنّ الشيخ الطبرسى نقل الرواية عن الكافى، ذكرنا موضع الرواية منه.

ص:۶۹

الفصل الخامس البرزخيّون ينتفعون بأعمال المؤمنين

اشارة

إذا كـانت حقيقـة الإنسـان هو روحهُ ونفسه الباقيـة غير الـداثرة، وكانت الصـلة بين الـدارين (دار الـدنيا ودار البرزخ) موجودة، وكانت متعلقـة بأجسام تناسـبها وهم بين منعّم ومعـذّب، يقع الكلام فى انتفاع أهل البرزخ بأعمال المؤمنين المتواجـدين فى دار الدنيا إذا قاموا بالإستغفار لهم بأعمال نيابة عنهم، وعدمه.

وقبل الـدخول فيصـلب الموضوع لنا كلامٌ نقـدّمه: هو أنّ الإيمان إنّما ينتفع به الإنسان إذا انضمّ إليه العمل الصالـح، ولا ينفع إيمان إذا خلا عنه، ولأجل ذلك يذكر سبحانه العمل الصالح إلى جانب الإيمان فى أكثر آيات الكتاب العزيز.

وقد أخطأت «المرجئه» لمّا زعموا أنّ الإيمان المجرّد وسيلة نجاة ومفتاح فلاح، فقدّموا الإيمان وأخّروا العمل.

وقد شـجب أهل البيت عليهم السـلام هذه الفكرة الباطلة حيث حذّروا الآباء ودعوهم إلى حفظ أبنائهم منهم: «بادروا أولادكم بالأدب قبل أن

ص:۷۰

يسبقكم إليهم المرجئة» «(۱)».

فالإعتماد على الإيمان مجرداً عن العمل فعل النوكى والحمقى، وهو لا يفيد ولا ينفع أبداً.

ولقد كانت لهذه الفكرة الباطلةصيغة أُخرى عند اليهود، فهم كانوا يعتمدون على مسألة الإنتساب إلى الآباء وبيت النبوة، فزعموا أنّ الثواب لهم والعقاب على غيرهم حيث قالوا: «نَحنُ أبناءُ اللَّهِ وأحبّاؤُهُ» أو قالوا: «لَنْ تَمَسَّنا النّارُ إلّاأيّاماً مَعدودَةً»، وفى ظلّ هذه الفكرة اقترفوا المنكرات واستحلّوا سفك دماء غيرهم من الأقوام والأُمم والإستيلاء على أموالهم.

والحق الذى عليه الكتاب والسنّة هو: أنّ المنجى هو الإيمان المقترن بالعمل الصالح، كما أنّ التسويف فى إتيان الفرائض باطل جداً، وهو أن يؤخّر الإنسان الواجب ويقول سوف أحجّ مثلًا، ويقول ذلك كلّ سنة ويؤخر الفريضة.

وهذا هو الإمام أمير المؤمنين على عليه السلام يؤكّد فى خطبته على العمل إذ يقول: «وإنّ اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل» «(۲)».

ويقول: «ألا ـ وإنَّ اليومَ المِضمار وغداً السباق، والسَّبَقةُ الجنّة، والغايةُ النار، أفلا تائب من خطيئته قبل منيته، أَلا عامل لنفسه قبل يوم بؤسه» «(۳)».

وهذا هو ما اتّفقت عليه الأُمة الإسلامية وتضافرت عليه

۱- الكافى ۶/ ۴۷، الحديث ۵.

۲- نهج البلاغة، الخطبة ۴۲.

۳- نهج البلاغة، الخطبة ۲۸.

ص:۷۱

الأحاديث والأخبار.

انتفاع الإنسان بعمله وبعمل غيره:

لكنّه سبحانه بفضله و جوده الواسعين وسّع على الإنسان دائرة الإنتفاع بالأعمال بحيث شمل الإنتفاع بعد الموت، بالأعمال التى تتحقق بعد الموت، وهى على نوعين:

الأول: ما إذا قام الإنسان بعمل مباشرة فى زمانه ومات ولكن بقى العمل يستفيد منه الناس كصدقة جارية أجراها، أو إذا ترك علماً ينتفع به، ويقرب منه ما إذا ربّى ولداًصالحاً يدعو له، فهو ينتفع بصدقاته وعلومه، لأنّها أعمال مباشرية باقية بعد موته وليست كسائر أعماله الفانية بفنائه الزائلة بموته، فالجسر الذى بناه، والنهر الذى أجراه، والمدرسة التى شيّدها، والطريق الذى عبّده، إنّما تحقق بسعيه، فهو ينتفع به.

وقد وردت فى هذا المجال روايات كثيرة، قام بنقل بعضها ابن القيم فى المسألة السادسة فى كتاب له بإسم «الروح» قال:

وذهب بعض أهل البدع من أهل الكلام أنّه لا يصل إلى الميت شىء البته لا بدعاء ولا غيره، ثم قال: فالدليل على انتفاعه بما تسبّب إليه فى حياته ما رواه مسلم فيصحيحه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه: أنّ رسول اللّهصلى الله عليه و آله قال: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلّامن ثلاث:

صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولدصالح يدعو له» فاستثناء هذه الثلاث من عمله يدل على أنّها منه، فأنّه هو الذى تسبّب إليها.

وفى سنن ابن ماجة فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول

ص:۷۲

اللَّه صلى الله عليه و آله: «إنّما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته: علماً علّمه ونشره، أو ولداًصالحاً تركه، أو مصحفاً ورثه، أو مسجداً بناه، أو بيتاً لابن السبيل بناه، أو نهراً أكراه، أوصدقةً أخرجها من ماله فيصحته وحياته يلحقه من بعد موته».

وفيصحيح مسلم أيضاً من حديث جرير بن عبد اللَّه قال: قال رسول اللَّهصلى الله عليه و آله: «من سنّ فى الإسلام سنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أُجورهم شىء، ومن سنّ فى الإسلام سنّة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شىء».

وهذا المعنى روى عن النبيصلى الله عليه و آله من عدة وجوهصحاح وحسان.

وفى المسند عن حذيفة قال: سأل رجل على عهد رسول اللَّهصلى الله عليه و آله فأمسك القوم، ثم إنّ رجلًا أعطاه فأعطى القوم، فقال النبيصلى الله عليه و آله: «من سنّ خيراً فاستنّ به كان له أجره ومن اجور من تبعه غير منتقص من أُجورهم شيئاً، ومن سنّ شراً فاستنّ به كان عليه وزره ومن أوزار من تبعه غير منتقص من أوزارهم شيئاً».

وقد دلّ على هذا قولهصلى الله عليه و آله: «لا تُقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، لأنّه أوّل من سنّ القتل» فإذا كان هذا فى العذاب والعقاب ففى الفضل والثواب أولى وأحرى «(۱)».

ويؤيده ما ورد فى شأنصلاة الجماعة حيث تُفضَّل بسبع وعشرين درجة أو خمس وعشرين درجة عليصلاة بغير جماعة «(۲)».

۱- ابن القيم تلميذ ابن تيمية م/ ۷۵۱: كتاب الروح، المسألة السادسة عشرة، ونقلها برمتها محمّد الفقى من علماء الأزهر فى كتابه التوسل والزيارة: ۲۲۶-/ ۲۲۷.

۲- صحيح مسلم ۲/ ۱۲۸، باب فضل صلاة الجماعة.

ص:۷۳

فكيف ينتفع المصلّون بعضهم ببعض؟ وكلّما زاد المصلون ازدادوا انتفاعاً.

الثانی: فيما إذا لم يكن للميت فی العمل سعی ولا تسبيب، فهل يصل ثواب عمل الغير إليه؟

الظاهر من الكتاب والسنة هو أنّه سبحانه بعميم فضله وواسع جوده يوصل ثواب عمل الغير إلى الميت، فيما إذا قام الغير بعملصالح نيابة عن الميت، وبعث ثوابه إليه، ويدل على ذلك لفيف من الآيات وطائفة كبيرة من الأحاديث والأخبار.

عرض المسألة على الكتاب:

لقدصرّحت الآيات بأنّ الإنسان المؤمن ينتفع بعمل غيره، وإن لم يكن له فيه سعی، ونحن نشير إلى بعض هذه الموارد على سبيل المثال لا الحصر:

۱- استغفار الملائكة للمؤمن، قال تعالى:

«الَّذينَ يَحملونَ العرشَ ومَنْ حولَهُ يُسبِّحونَ بِحَمدِ ربِّهِمْ ويُؤمِنونَ به ويَستغفرونَ للَّذينَ آمَنوا ربَّنا وَسِعْتَ كلَّ شیء رَحمةً وعِلماً فَاغفِر للَّذينَ تابُوا واتَّبعوا سَبيلَكَ وقِهِمْ عذابَ الجَحيمِ» (غافر/ ۷)

وقال تعالى أيضاً:

«تكادُ السَّمواتُ يَتفطَّرنَ مِنْ فَوقِهِنَّ والملائكةُ يُسَبِّحونَ بِحمدِ

ص:۷۴

ربِّهِمْ ويَستغفرونَ لِمَنْ فی الأرض ألا إنَّ اللَّهَ هوَ الغفورُ الرَّحیمُ» (الشوری/ ۵)

۲- دعاء المؤمنین للذین آمنوا:

«والَّذینَ جَاءوا مِنْ بَعدهِمْ یَقولونَ رَبَّنا اغفرْلَنا ولإخوانِنا الَّذینَ سَبقونا بِالإیمانِ ولا تَجعلْ فی قُلوبِنا غِلّاً للَّذینَ آمنوا رَبَّنا إنَّکَ رَوؤفٌ رَحیم» (الحشر/ ۱۰)

الأحادیث الدالة علی انتفاع المیت بفعل الحیّ:

تدلّ روایات کثیرة علی أنّ المیت ینتفع بعمل الغیر، إمّا بدعائه فیکفی فی ذلک ما تواتر عن النبیّ الأکرمصلی الله علیه و آله من زیارته لأهل بقیع الغرقد ودعائه لهم، وزیارته لشهداء أُحد وتعمیمهم بالدعاء، وتکرار ذلک منه، ولو لم ینتفعوا بدعائه لما قام به علیه السلام، وقد عرفتَ الآیات الدالة علی انتفاع المیت بدعاء الحی.

إنّما الکلام فیما إذا قام بعمل (لا بدعاء) قربی نیابة عن المیت، فالروایات المتضافرة تدل علیصحة العمل ووصول ثوابه إلیه وانتفاع المیت به، وقد وزّعت الروایات فی الصحاح والمسانید فی مختلف الأبواب کالصوم والحج والعتق والنذر والتصدّق والسقی وقراءة القرآن، فنحن نذکر هذه الروایات علی هذا الترتیب، ولعلّ المتتبّع فی الصحاح والمسانید یقف علی أکثر من ذلک.

أ- انتفاع المیت بصوم الغیر نیابة عنه:

۱- روی الشیخان عن عائشة: أنّ رسول اللّه قال: «من مات وعلیه صیام،صام عنه ولیّه».

۲- روی الشیخان أیضاً عن ابن عباس، قال: جاء رجل إلی النبیّ وقال: یا رسول اللّه إنّ أُمّی ماتت وعلیهاصوم شهر أفأقضی عنها؟ قال:

ص:۷۵

«نعم فدين اللَّه أحق أن يقضى».

۳- وفى روايـة: جـاءت امرأة إلى رسول اللَّه وقـالت: يـا رسول اللَّه إنّ أُمّى ماتت وعليهاصوم نـذر أفأصوم عنها؟ قال: «أفرأيتِ لو كان على أُمك دين فقضيْتيهِ أكان يؤدّى ذلك عنها؟ قالت: نعم قال: «فصومى عن أُمك».

۴- روى بريـدة قـال: بينـا أنـا جـالس عنـد رسول اللَّه إذ أتته امرأة وقـالت: «إنى تصـدّقت على أُمّى بجاريـة وإنّها ماتت، فقال: «وجب أجرك، وردّها عليك الميراث».

فقالت: يا رسول اللَّه إنّه كان عليهاصوم شهر أفأصوم عنها؟ قال:

«صومى عنها» قالت: إنّها لم تحجّ قطّ، أفأحج عنها؟ قال: «حجّى عنها» «(۱)».

ب- انتفاع الميت بحج الغير نيابة عنه:

۵- قال سـعد بن عبادة: يا رسول اللَّه، إنّ أُم سـعد فى حياتها كانت تحـجّ من مالى وتتصدّق وتَصِل الرحم وتنفق من مالى، وإنّها ماتت فهل ينفعها أن أفعل ذلك عنها؟ قال: «نعم».

۶- وقال (ص): «لو كان مسلماً فَأَعْتقتم عنه أو حججتم عنه بلغه ذلك».

وقد مضى جواز الحج نيابة فى الرواية الرابعة.

ج- انتفاع الميت بعتق الغير عنه:

۷- عن عطاء بن رباح قال: قال رجل: يا رسول اللَّه أعتق عن أُمّى؟

۱- هذه الروايات ۱-/ ۵ رواها مسلم فى صحيحه، ج ۳، باب قضاء الصيام عن الميت: ۱۵۵-/ ۱۵۶.

ص:۷۶

قال: «نعم» قال: أينفعها؟ قال: «نعم».

۸- عن عبد الرحمان بن أبى عمرة الأنصارى: أنّ أُمّه أرادت أن تعتق فأخرت ذاك إلى أن تصبح فماتت؟ قال عبد الرحمان: قلت للقاسم ابن محمّد: أينفعها أن أعتق عنها؟ قال القاسم: أتى سعد بن عبادة رسول اللّه فقال: إنّ أُمى هلكت فهل ينفعها أن أعتق عنها؟ فقال رسول اللّه: «نعم».

وقد مضى فى الرواية السادسة ما يدل على جواز العتق عن الغير:

د- انتفاع الميت بعمل الغير فيما إذا نذر ولم يعمل:

۹- جاء سعد بن عبادة إلى رسول اللّه فقال: إنّ أُمى كان عليها نذر، أفاقضيه؟ قال: «نعم» قال: أينفعها؟ قال: «نعم».

ورواه مسلم بلفظ آخر قال: استفتى سعد بن عبادة رسول اللّه فى نذر كان على أُمّه توفيت قبل أن تقضيه؟ قال رسول اللّه: «فاقضه عنها».

ه- انتفاع الميت بصدقة الغير نيابة عنه:

۱۰- عن أبى هريرة: أنّ رجلًا قال للنبىّ: إنّ أبى مات وترك مالًا ولم يوص، فهل يكفّر عنه أن أتصدق عنه؟ قال: «نعم».

۱۱- عن معاذ، قال: «أعطانى رسول اللّه (ص) عطية، فبكيت فقال:

«ما يبكيك يا معاذ»؟ قلت: يارسول اللّه كان لأُمى من عطاء أبى نصيب تتصدّق به وتقدّمه لآخرتها وإنّها ماتت ولم توص بشىء قال: «فلا يبك اللّه عينك يا معاذ، أتريد أن تُؤجر أُمك فى قبرها؟ قلت: نعم يارسول اللّه، قال: «فانظر الذى كان يصيبها من عطائك فامضه لها، وقل اللّهم تقبّل من أُم معاذ».

ص:۷۷

فقال قائل: يارسول اللَّه لمعاذ خاصة أم لأُمتك عامة؟ قال: «لأُمتى عامة».

۱۲- عن سعد أنّه سأل النبيصلى الله عليه و آله قال: يا نبىّ اللَّه إنّ أُمى قد افتلتت وأعلم أنّها لو عاشت لتصدّقت، أفإن تصدَّقتُ عنها أينفعها ذلك؟

قالصلى الله عليه و آله: «نعم» فسأل النبيصلى الله عليه و آله: أىّ الصدقة أنفع يارسول اللَّه؟ قال:

«الماء»، فحفر بئراً، وقال: هذه لأُم سعد.

واللام فى قوله: «هذه لأُم سعد» هى اللام الداخلة على الجهة التى وجهت إليه الصدقة، وليست من قبيل اللام الداخلة على المعبود المتقرّب إليه، مثل قولنا: نذرت للَّه، وإن شئت قلت: اللام فى قوله «لأُم سعد» مثل اللام الواردة فى قولهتعالى: «إنَّما الصَّدقاتُ للفُقراءِ» (التوبة/ ۶۰).

۱۳- وفيصحيح البخارى عن عبد اللَّه بن عباس رضى الله عنه: «إنّ رجلًا أتى النبىّ فقال: يارسول اللَّهصلى الله عليه و آله إنّ أُمّى افتلتت نفسها ولم توصِ، وأظنّها لو تكلّمت تصدقت، أفلها أُجر إن تَصدّقتُ عنها؟ قال: «نعم».

۱۴- وفيصحيح البخارى عن عبد اللَّه بن عباس رضى الله عنه: «إنّ سعد ابن عبادة توفّيت أُمه وهو غائب، فأتى النبيصلى الله عليه و آله فقال: يارسول اللَّه إنّ أُمى توفّيت وأنا غائب عنها فهل ينفعها إن تصدّقتُ عنها؟ قال: «نعم»، قال: «فإنّى أشهدك إنّ حائطى المخرافصدقة عنها» والمراد بالحائط البستان، والمخراف عبارة عن اسم ذلك الحائط.

۱۵- وعن عبد اللَّه بن عمر: «إنّ العاص بن وائل نذر فى الجاهلية أن ينحر مائة بدنة، وإنّ هشام بن العاص نحر خمسة وخمسين، وإنّ عمراً سأل النبيصلى الله عليه و آله عن ذلك فقال: «أمّا أبوك فلو أقرّ بالتوحيد فصمت وتصدّقت عنه نفعه ذلك» ورواه الإمام أحمد.

ص:۷۸

و- انتفاع الميت بالذكر والدعاء والقراءة والتحية:

۱۶- روى ابن ماجة فيصحيحه: إنّ رسول اللّه قال: «اقرأوا (يس) على موتاكم».

۱۷- وعن أبى هريرة: «زوروا موتاكم ب (لا إله إلّااللّه)».

۱۸- «ما من رجل يزور قبر حميمه فيسلّم عليه ويقعد عنده إلّاردّ عليه السلام وأنس به حتى يقوم من عنده».

۱۹- «ما من رجل يمرّ بقبر كان فيه (من) يعرفه فى الدنيا فيسلّم عليه إلّاعرفه وردّ عليه السلام».

۲۰- «ما الميت فى قبر إلّاشبه الغريق المتغوث ينتظر دعوة من أب أو أُم أو ولد أوصديق ثقة، فإذا لحقته كانت أحبّ إليه من الدنيا وما فيها، وإنّ اللّه عزّ وجلّ ليدخل على أهل القبور من دعاء أهل الدنيا أمثال الجبال، وإنّ هدية الأحياء إلى الأموات الإستغفار لهم والصدقة عنهم».

۲۱- من حديث أبى هريرة رضى الله عنه: قال: قال رسول اللّه: «إذاصلّيتم على الميت فأخلصوا له الدعاء».

۲۲- وفيصحيح مسلم من حديث عوف بن مالك: قال رسول اللّهصلى الله عليه و آله على جنازة، فحفظت دعاءه وهو يقول: «اللّهمّ اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه، وأكرم نزله وأوسع مدخله، وأغسله بالماء والثلج والبرد، ونقّه من الخطايا كما نقّيت الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله داراً خيراً من داره، وأهلًا خيراً من أهله، وزوجاً خيراً من زوجه، وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر وعذاب النار».

۲۳- وفى السنن عن واثلة بن الأسقع قال:صلّى رسول اللّه على رجل من المسلمين فسمعته يقول: «اللّهم إنّ فلاناً ابن فلان فى ذمتك

ص:۷۹

وحبل جوارك، فقهِ فتنة القبر وعذابه، وأنت أهل الوفاء والحقّ، فاغفر له وارحمه إنّك أنت الغفور الرحيم».

۲۴- وفی السنن من حدیث عثمان بن عفان (رض) کان النبی (ص) إذا فرغ من دفن المیت وقف علیه فقال: «استغفروا لأخیکم واسالوا له التثبت فأنّه الآن یسأل».

ولو استقصیت الصحاح والسنن لوقفت علی روایات کثیرة من هذا القسم.

أضف إلی ذلک ما ننقله عن النبی الأکرمصلی الله علیه و آله عند ما زار بقیع الغرقد، من دعائه لأهله وترحیمه لهم.

إلی غیر ذلک من الأحادیث والأخبار الواردة فی هذا المجال، ومن أراد التبسط فلیرجع إلی مظانّها «(۱)».

موقف المذاهب الإسلامیة من هذه المسألة:

وهؤلاء هم أئمة المذاهب الثلاثة (الحنبلی والشافعی والحنفی) یفتون بانتفاع المیت بعمل الحی حتی إذا لم یوص به ولم یکن له فیه سعی.

فهؤلاء هم فقهاء الحنابلة یقولون: ومن توفی قبل أن یحجّ الواجب علیه سواء أکان ذلک بعذر أو بغیر عذر، وجب علیه أن یخرج من جمیع ماله نفقة حجة وعمرة ولو لم یوص «(۲)».

۱- لاحظ للوقوف علی مصادر هذه الروایات: صحیح مسلم، کتاب النذر، ج ۵ / ۷۳- / ۷۸ وکنز العمال ۶ ص ۵۹۸-/ ۶۰۲ رقم ۱۷۰۵۰-/ ۱۷۰۷۱، والروح لابن القیم ۱۱۸-/ ۱۲۱ وغیره، والتوسل والزیارة فی الشریعة الإسلامیة للشیخ الفقی ۲۲۹ وغیرها.

۲- الفقه علی المذاهب الأربعة للجزری ۱/ ۵۷۱.

ص:۸۰

وهذا هو الفقه الحنفى يقول: أمّا إذا لم يوص وتبرّع أحد الورثة أو غيرهم فإنّه يرجى قبول حجتهم عنه إن شاء اللّه «(۱)».

وهذا هو الشافعى يقول: فإن عجز عن مباشرة الحج بنفسه يحج عنه الغير بعد موته من تركته (ولم يقيد بالإيصاء وعدمه) «(۲)».

وقال ابن القيم: واختلفوا فى العبادة البدنية كالصوم والصلاة وقراءة القرآن والذكر: فذهب الإمام أحمد وجمهور السلف إلى وصولها، وهو قول بعض أصحاب أبى حنيفة، نصّ على هذا الإمام أحمد فى رواية محمّد بن أحمد الكحال قال: قيل لأبى عبد اللّه: الرجل يعمل الشىء من الخير منصلاة أوصدقة أو غير ذلك فيجعل نصفه لأبيه أو أُمّه، قال: أرجو، أو قال: الميت يصل إليه كل شىء منصدقة أو غيرها، وقال: أيضاً اقرأ آية الكرسى ثلاث مرات وقل هو اللّه أحد وقل:

اللّهمّ إنّ فضله لأهل المقابر.

وقال: فقد أخرج ابن أبى شيبة فى مصنّفه والخلال فى جامعه عن الشعبى بسندصحيح، قال: كانت الأنصار إذا مات لهم الميت اختلفوا إلى قبره، يقرأون القرآن.

وقال النووى فى شرح المهذب: يستحب (أى للزائر للأموات) أن يقرأ ما تيسّر ويدعو لهم عقبها، نص عليه الشافعى واتفق عليه الأصحاب.

۱- المصدر نفسه ۱/ ۵۶۷.

۲- المصدر نفسه ۱/ ۵۶۹.

ص:۸۱

وقال فی الاذکار: قال الشافعی والأصحاب: یستحب أن یقرأوا عند المیت شیئاً من القرآن قالوا: فإن ختموا القرآن کلّه کان حسناً.

ثم قال: وقد روی عن بعض الشافعیة أنه لا یصل ثوابها للمیت.

ونقل عن جماعات من الشافعیة أنهم أوّلوه بحمله علی ما إذا لم یقرأ بحضرة المیت، أو لم ینو ثواب قراءته له، أو نواه ولم یدع «(۱)».

وهذه الروایات وإن أمکن المناقشة فی إسناد بعضها، لکن المجموع متواتر مضموناً، فلا یمکن ردّ الکل.

أضف إلی ذلک وجود روایاتصحیحة قاطعة للنزاع، والفقیه إذا لاحظ مع ما أفتی به أئمة المذاهب الثلاثة ینتزع ضابطة کلیة، وهو وصول ثواب کلّ عمل قربی إلی المیت، إذا أتی به نیابة عنه، سواء کان العمل داخلًا فیما ذکر من الموضوعات أو خارجاً عنها، لأنّ الظاهر أنّ الموضوعات کالصوم والحج وغیرهما من باب المثال، لا من باب الحصر.

فتلک الآیات والروایات وهذه الفتاویصریحة فی جواز القیام بعمل ما عن المیت من دون إیصاء، وبعبارة أُخری: من دون سعی له فیه، فإذا لم ینتفع المیت بعمل الغیر فکیف جاز الحج عنه أو وجب، وکذا فی سائر الأُمور الأُخری کالإستغفار والدعاء له وشفاعته والتصدّق والعتق عنه.

وقال الدکتور عبد الملک السعدی: لم یثبت أنّ النبیّصلی الله علیه و آله کان یقرأ شیئاً من القرآن إذا زار المقابر سوی ما ورد أنهصلی الله علیه و آله قال: «یس قلب القرآن اقرأوها علی موتاکم» إذا حملنا لفظ الموتی علی المعنی الحقیقی وهو خروج الروح من الجسد، لأنّ حمله علی حالة النزع حمل اللفظ علی معناه المجازی، والحمل علی الحقیقة أولی، ومع هذا فلا مانع من

۱- ابن القیم، الروح: ۲۳۵-/ ۲۳۶.

ص:۸۲

قراءة القرآن فی المقبرة لعدم ورود المنع من ذلک، ولأنّ الأموات یسمعون القراءة فیستأنسون بها، ولأنّ الإمام أحمد کان یری ذلک حیث قد نهی ضریراً یقرأ عند القبور ثم أذن له بعد أن سمع أنّ ابن عمر رضی الله عنه أوصی أن یقرأ إذا دفن عنده بفاتحة البقرة وخاتمتها، کما جاء فی المغنی لابن قدامة فی مسألة زیارة القبور «(۱)».

أمّا القول بأنّ القراءة عند القبور بدعة، فغیر مسلّم، لأنّ البدعة هی التی لم یرد بها نص خاص أو لم تدخل تحت القواعد العامة للإسلام، والقراءة مشروعة علی الإطلاق فی الإسلام بغضّ النظر عن مکان القراءة وزمانها ما لم یرد نهی عنها بوقت معین وزمان معین أو مکان معین.

۱- المغنی ۲/ ۵۶۷.

ص:۸۳

الفصل السادس حول الشبهات المطروحة

اشارة

لقد وقفت بفضل الآيات الكريمة الناصعة، والسّنة النبوية المطهّرة، وكلمات العلماء الأبرار على أنّ الموت ليس بمعنى فناء الإنسان وبطلانه، أو القضاء على حقيقته وشخصيته، بل هو قنطرة تعبر بالإنسان من دار إلى أُخرى إمّا محفوفة بالنعمة والراحة، أو ملفوفة بالنقمة والتعذيب.

كما وقفت على أنّ الصلة بين الدارين غير منقطعة، وأنّ هناك مبادلة كلام بكلام حتى إنّ البرزخيين يسمعون خفق نعال المشيّعين.

كما اتّضح أنّ المؤمنين ينتفعون بخير الأعمال التي يقوم بها أقرباؤهم وأصدقاؤهم.

كلّ ذلك بفضل منه سبحانه على عباده حتى ينتفعوا، بما يُقدّم لهم إخوانُهم- بعد انتقالهم من الدنيا- من أدعيةصالحة، وأعمال طيبة تهدى ثوابها إلى آبائهم وإخوانهم وأساتذتهم الذين وجبت حقوقهم عليهم.

غير أنّ تبعية الأهواء ربما تصدّ الإنسان عن البخوع للحق،

ص:۸۴

والخضوع أمـام الحقيقـة فيقـدِّم رأيه الساقط على البراهين الواضـحة، فتارة يُنكر وأُخرى يردّ الصـلة بين الـدارين، وثالثـة يَجحـد انتفاع البرزخيين بأعمال إخوانهم المؤمنين، كلّ ذلك فى قوالب شـبه ضـئيلة نمّقته الأهواء والتقليد الأعمى ولا يقام له فى سوق الإعتبار وزن ولا فى مبوّأ الحق مقيل، «فظُنَّ خيراً ولا تسأل عن الخبر» وإليك تلكم الشبهات مع أجوبتها:

الشبهة الأولى:

إنّ الحياة البرزخية حياة لا يعلمها إلّا اللّه، فهى حياة مستقلّة نؤمن بها ولا نعلم ماهيتها.

وإن بين الأحياء والأموات حاجزاً يمنع الاتّصال فيما بينهم، وعلى هذا فيستحيل الاتصال بينهم لا ذاتاً ولاصفاتاً، واللّهُ سبحانه يقول: «ومِنْ ورائِهِمْ بَرزخٌ إلى يوم يُبعَثونَ» «(۱)».

الجواب: إنّ الحيـاة بمعناها الحقيقى مجهولـة الكنه سواء أكانت دنيويـة أم برزخيـة ولا يعلم حقيقتها إلّاخالقها، لكن ذلك لا يمنع فى التعرّف عليها بشـىء من آثارها: الإدراك والشعور فى نوع الحيوان، والتفكّر والتعقّل فى نوع آخر كالإنسان، فالحياة بلا شعور ودرك نفى لواقع الحياة.

على أنّه سـبحانه بيّن بعض آثـار الحياة البرزخيـة فى الآيات النازلـة فى الشـهداء، قال سـبحانه: «بَلْ أحياءٌ عنَـد ربِّهِمْ يُرزقَونَ فَرِحين بِما آتاهُمُ اللّهُ مِنْ فَضلِه ويستَبشِرونَ بالَّذينَ لَمْ يلحقُوا بِهِمْ مِنْ خَلفِهِمْ ألّا خوفٌ

۱- الرفاعى: التوصّل إلى حقيقة التوسل/ ۲۶۷، سورة المؤمنون: ۱۰۰.

ص:۸۵

عَليهِمْ ولا هُمْ يَحزَنُونَ» (آل عمران/ ۱۶۹، ۱۷۰) والإمعان فيما سبق من الروايات حول الحياة البرزخية يرفع الحجاب عن آثارها وظواهرها.

ومع هذا التضافر والتنصيص فما معنى هذا التجاهل؟!

وأمّا البرزخ فهو بمعنى الحاجز، وكونه حاجزاً لا يعنى انقطاع الصلة بين أهل الدنيا وأهل البرزخ، بل يكون مانعاً من رجوع الناس إلى حياة الدنيا، لأنّ الحياتين قد قدّرتا على شكل خاص لا يختلط أحدهما بالآخر، فإنّ الحياة المادية القائمة على الكون والفساد والفعل والإنفعال تختلف عن الحياة البرزخية المبراة عن هذه الآثار، فبين الحياتين حاجز يمنع عن اختلاط إحداهما بالأُخرى، لا أنّ بينهما ستاراً حديدياً يمنع عن اللقاء أو عن السماع.

ويعرب عنصحة ما ذكرناه أنّ قوله سبحانه: «ومِنْ ورائِهِمْ بَرزخٌ إلى يوم يُبعثونَ» جاء جواباً لتمنّى الكافر وسؤاله الرجوع إلى الدنيا حيث يقول: «ربِّ ارجعونِ لَعلِّى أعملصالحاً فِيما تركتُ» فردّ السؤال بقوله: «كلّا إنّها كلمةٌ هو قائِلُها ومنْ ورائِهِمْ بَرزخٌ إلى يومِ يُبعَثونَ» (المؤمنون/ ۹۹، ۱۰۰).

ولوصحّ ما ذكره فما معنى تكلم النبيصالح وشعيب مع قومهما؟! وما معنى تكلّم النبّى الأكرمصلى الله عليه و آله ليلة المعراج مع الأنبياء؟! وما معنى تمنّى حبيب النجار بعد موته بقوله: «ياليتَ قَومى يَعلَمونَ»؟!

الشبهة الثانية:

إنّ اللّه سبحانه يقول: «وأن ليسَ للإنسانِ إلّاما سَعَى» (النجم/ ۳۹) فالآية تحصر الإنتفاع فى العمل الذى سعى فيه الإنسان قبل موته، ومعه

ص:۸۶

كيف ينتفع بعمل الغير الذى لم يسع فيه؟

والجواب على هـذه الشـبهة من وجوه متعـددة، ولكنّنا نذكر قبل الجواب ما يفيد القارىء فى المقام، وهو: أنّه لو كان ظاهر الآية هو ما يرومه المسـتدل وهو: أنّ الغير لاـ ينتفع بعمـل الغير مـا لم يكن قـد تسـبب إليه فى الحيـاة، لعـارَض هـذا ظاهر الآيات الأُخر والروايات المتضافرة فى ذلك المجال، إذ لو كان كذلك فما معنى استغفار المؤمنين لإخوانهم الذين سبقوهم بالإيمان؟ وما معنى استغفار حملة العرش ومن حوله لأهل الإيمان؟ وما معنى هذه الروايات الواردة فى مجالات مختلفة، الدالة على انتفاع الميت بعمل الغير؟

كل ذلك يعرب عن أن للآية مفاداً آخر وهو غير ما يرومه المستدل، وإليك تفسير الآية بالإمعان فيها، وذلك بوجوه:

الوجه الأول:

إنّ سـياق الآيات المحيطة بهذه الآية سـياق ذمّ وتنديد، وسـياق إنذار وتهديد، فإنّ اللّه سـبحانه يبدأ كلامه العزيز بقوله: «أفرأيت الذى تَولّى وأعْطى قَليلًا وأكدى أعِندَهُ عِلمُ الغَيبِ فَهوَ يَرى أمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِما فيصُحُفِ مُوسـى وإبراهيمَ الَّذِى وَفّى ألّا تَزِرُ وازِرةٌ وِزرَ أُخرى وأنْ لَيسَ للإنسانِ إلّاماسَعى وأنَّ سَعيَهُ سَوفَ يُرى ثُمَّ يُجْزاهُ الجزاءَ الأوْفى وأنَّ إلى رَبِّكَ المُنتهى» (النجم/ ۳۳-/ ۴۲).

فإنّك ترى أنّ الآيات الحاضـرة مثل سبيكـة واحدةصـيغت لغرض الإنذار والتهديد، خصوصاً قوله: «وأنْ ليسَ للإنسان إلّاماسَعى» فإنّ هذه الآية وقعت بين آيتينصريحتين فى التهديد المتقدمة قوله: «ألّا تَزرُ وازرةٌ وِزرَ أُخرى» والمتأخّرة قوله: «وأَنّ سعيهُ سوفَ يُرى» ثم

ص:۸۷

قوله: «وأنّ إلى ربِّكَ المُنتهى».

فانّ كلّ ذلك يعطى أنّ موضوع هـذه الآيـة والآيات السابقة واللاحقة هو العقاب لا الثواب، والسـيئة لا الحسـنة، فالآية تصـرّح بأنّ كل إنسان يحمل وزر نفسه ويعاقب بالعمل السيّئ الذى سعى فيه، وأمّا العمل السيّئ الذى اقترفه الغير ولم يكن للإنسان سعى فيه فلا يؤخذ به ولا يعاقب عليه.

وعلى ذلـك فاللاـم فى قوله: «للإنسـان» ليس للإنتفـاع بل اللام لبيان الإسـتحقاق، وهو أحـد معانيها «(۱)» مثـل قوله: «وَيلٌ لِلمُطفّفينَ» وقوله: «لَهُمْ فى الدُّنيا خِزىٌ ولَهمْ فى الآخرةِ عذابٌ عَظيمٌ» (البقرة/ ۱۱۴) وقولهصلى الله عليه و آله:

«الولد للفراش وللعاهر الحجر».

وعلى ذلـك فالموضوع الـذى تركّز عليه الآيات هو العقاب لا الثواب، ولهـذا تكون الآيـة خارجـة عن مصبّ البحث، وهـذا ظاهر لمن أمعن النظر.

الوجه الثانى:

لو فرضـنا أنّ محور البحث فى هـذه الآيـات هو الأـعم من الثواب والعقاب، وأنّ اللّام فى الآيـة للإنتفاع، ولكن الآيـة مع ذلك لا تنفى انتفـاع الإنسـان بعمـل غيره إذا كـان للإنسان المنتفع سـعى فيه ولو بإيجاد أرضـيةصالحة للإنتفاع به فى ذاته، فى قبال من لا توجـد فى نفسه وذاته مثل هذه الأرضية والإستعداد والقابلية والمقتضى.

فمثلًا الإنسان ينتفع بشفاعة النّبى الأكرمصلى الله عليه و آله يوم القيامة باتفاق

۱- قال ابن هشام فى المغنى ۱/ ۲۰۸ وللام الجارة إثنان وعشـرون معنى، أحدها: الإستحقاق، وهى الواقعة بين معنى وذات .. مثل« لهم فى الدنيا خزى».

ص:۸۸

جميع المسلمين حتى الوهابيين، ولكن انتفاعه هذا ناشىء من أنّه سعى لهذا الإنتفاع حيث دخل فى حظيرة الإيمان باللّه وآياته.

وكذلك الأمر فى استغفار المؤمنين للمؤمن بعد موته، وكذا الأعمال الصالحة التى يهدى ثوابها إلى أحد وتكون على وجه يرتبط بسعيه فى الدخول فى زمرة المؤمنين.

ولذلك لو كان مشركاً أو ممّن تحبط أعماله، لا يصل إليه ذلك الثواب ولا ينتفع بعمل الغير.

وقد تفطّن لهذا الجواب بعض أئمة أهل السنّة.

قال أبو الوفاء بن عقيل: إنّ الإنسان بسعيه وحسن معاشرته اكتسب الأصدقاء وأولد الأولاد وتزوّج وأسدى الخير وتودّد للناس، فنشأ عن ذلك أنّهم ترحّموا عليه وأهدوا له العبادات، وقد كان ذلك من آثار سعيه كما قالصلى الله عليه و آله: «إنّ أطيب ما أكل الرجل من كسبه» ويدل على ذلك الحديث الآخر: «وإذا مات العبد انقطع عمله إلّامن ثلاث ..».

وقال الشيخ الفقى: «هذا جواب يحتاج إلى إتمام، فإنّ العبد بإيمانه وطاعته للّهورسوله قد سعى فى انتفاعه بعمل إخوانه المؤمنين مع عمله، كما ينتفع بعملهم فى الحياة مع عمله، فإنّ المؤمنين ينتفع بعضهم بعمل بعض فى الأعمال التى يشتركون فيها، كالصلاة فى جماعة، فإنّ كلّ واحد منهم تضاعفصلاته إلى سبع وعشرين ضعفاً لمشاركة غيره له فى الصلاة، فعمل غيره كان سبباً لزيادة أجره، كما أنّ عمله كان سبباً لزيادة أجر الآخر.

أضف إلى ذلك أنّ القرآن لم ينف انتفاع الرجل بسعى غيره، وإنّما نفى ملكه لغير سعيه، وبين الأمرين فرق كبير، فأخبر تعالى أنّه لا يملك

ص:۸۹

إلّا سعيه، فإن شاء أن يبدله لغيره، وإن شاء أن يبقيه لنفسه، فهو سبحانه لم يقل لا ينتفع إلّابما سعى «(۱)».

الوجهُ الثالث:

إنّ الآيـهٔ بصـدد بيان أنّ عمل كل إنسان راجع إليه دون غيره، وأين هذا من عدم انتفاع الإنسان بعمل الغير؟ فإنّه غير داخل فى منطوق الآيهٔ ولا فى مفهومها، ولا الآيهٔ ناظرهٔ إلى نفيه.

وإن شـئت قلت: إنّ الآيـهٔ بصـدد بيـان أنّ كلّ إنسان رهن عمله، فإن عمل شـراً فلا يتحمّله غيره «ولا تَزرُ وازرهٌٔ وِزرَ أُخرى»، وإن عمل خيراً فيسـعد به ويرى عمله وسـعيه ف «الناس مجزيّون بأعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر» و «مَنْ عَملَصالحاً فلنفسِهِ ومَنْ أساءَ فَعَلَيها» (الجاثيهٔ/ ۱۵)، «فَمَنْ يَعمـلْ مِثقالَ ذرَّهٍٔ خيراً يَرهُ ومَن يعمَلْ مِثقالَ ذرَّهٍٔ شـرّاً يَرَهُ» (الزلزلـهٔ/ ۷-/ ۸)، وهذه هى الضابطهٔ الأصـليهٔ فى حياهٔ الإنسـان عاجلًا وآجلًا، وليس لأحـد رفضـها والإعتماد على غيرها، ولكنّه لا ينافى جواز أن يهـدى العامل ثواب عمله إلى غيره ويسـعد الغير به فهو خارج عن مفاد الآيهٔ إيجاباً وسلباً.

وهـذا مثل قول الوالـد لولـده: إنّما تنتفع بتجارتك وسـعيك، وإنّ سـعى كلّ إنسان له نفسه لا للغير، وهـذا لا ينافى أن ينتفع هذا الولد بعمل غيره إذا أهدى إليه ذلك الغير شيئاً من الطعام والفواكه والألبسهٔ بنيات مختلفهٔ، فليس للولد حينئذ أن يعترض على والده ويقول: إنّك قلت إنّك تنتفع بسـعيك مع أنّنى انتفعت بسـعى الغير، إذ للوالد أن يقول: إنّ كلامى فى نفس العمل الصادر منك ومن غيرك، فكلّ يملك عمل نفسه

۱- التوسّل والزيارهٔ للشيخ محمّد الفقى: ۲۳۴، والمؤلف من علماء الأزهر الشريف.

ص:۹۰

ولا يتجاوزه، ولكن كلامى هذا ليس ناظر إلى ما لو وهب أحد حصيلة سعيه إليك بطيبة نفسه.

وكيف يمكن أن نقول بما يقوله هذا الوهابى ونظراؤه وقد تضافرت الآيات والأحاديث- كما مر عليك بعضها- بانتفاع الإنسان بعمل الغير فى ظروف معيّنه، وتحت شرائط خاصة وإن لم يكن له أدنى سعى فيها.

هذه الآية تشير إلى نكتة وهى: أنّه يجب على الإنسان الاعتماد على السعى والعمل لا على الحسب والنسب، وإلّا يكون المسلم مثل اليهود الذين كانوا يتمنّون تمنّى الحمقى إذ كانوا يعتمدون عليصلتهم وانتمائهم إلى الأنبياء بقولهم: «نَحنُ أبناءُ اللَّهِ وأحبّاؤهُ» (المائدة/ ۱۸) أو قولهم: «لَنْ تَمسَّنا النّار إلّاأيّاماً مَعدودَة» (البقرة/ ۸۰).

نعم، هذه- كما قلنا- ليست ضابطة أصلية فى سعادة الإنسان فى دنياه وأُخراه، وليس له أن يعتمد عليها ويتّخذها سنداً، وإن كان أمراًصحيحاً فى نفسه، وليس كل أمرصحيح يصح أن يعتمد عليه الإنسان ويعيش عليه كشفاعات الأنبياء والأولياء، فلا يجوز ترك العمل بحجة أنّهم يشفعون.

الشبهة الثالثة:

امتناع إسماع الموتى، دلّت بعض الآيات على إمتناع إسماع الموتى كقوله سبحانه: «فإنَّكَ لا تُسمِعُ المَوتى ولا تُسمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ إذا وَلَّوْا مُدبِرينَ» (الروم/ ۵۲).

وقوله: «وما يَستوى الأحياءُ ولا الأمواتُ إنَّ اللَّهَ يُسمِعُ مَنْ يَشاءُ

ص:۹۱

وما أنتَ بِمُسمِعٍ مَنْ فی القُبورِ» (فاطر/ ۲۲).

ولکن الإجابة واضحة بوجهین:

الأول: إنّ هاتین الآیتین ناظرتان إلی الأجساد الموجودة فی القبور، فإنّها هی التی لا تسمع ولا تعی، والاتصال لا یکون بیننا وبین هذه الأجساد، بل یتحقق بیننا وبین الأرواح الطاهرة والنفوس الزکیة الباقیة الخالدة، وإن تبعثر الجسد وتناثرت أجزاؤه فالأرواح هی التی یُسلّم ویُصلّی علیها وهی التی تسمع وترد.

وأمّا الحضور عند المراقد التی تضمّ الأجساد والأبدان فلأجل أنّه یبعث علی التوجّه إلیصاحب تلک الأجساد ویکون أدعی إلی تذکّر خصاله وصفاته، وإلّا فإنّ الارتباط بهم والسلام علیهم یمکن حتی ولو من مکانٍ ناءٍ وبلدٍ بعید، کما تصرح بعض أحادیث الصلاة علی رسول اللّه صلی الله علیه و آله.

الثانی: إنّ المراد نفی الإنتفاع، وإنّ نفی السماع کنایة عنه، بمعنی أنّ هؤلاء یسمعون منک فی الواقع ولکنّهم لا ینتفعون من قولک، کما أنّ أهل القبور یسمعون ولکنّهم لا ینتفعون به لفوات أوان السماع والعمل.

أو المراد نفی سماع القبول والإستفادة لا نفی أصل السماع «(۱)».

انّ القرآن یفسّر بعضه بعضاً، والسنّة الشریفة تزیل الإبهامات الطارئة علی آیات الکتاب العزیز الذی نزل من عند اللّه الحکیم العلیم.

قال ابن القیم: أما قوله تعالی: «وما أنتَ بِمُسمِعٍ مَنْ فِی القُبور» فسیاق الآیة یدل علی المراد منها أنّ الکافر المیت القلب، لا تقدر علی إسماعه إسماعاً ینتفع به، کما أنّ من فی القبور لا تقدر علی إسماعه

۱- الدکتور عبد الملک السعدی: البدعة/ ۱۳۳.

ص:۹۲

إسماعاً ينتفعون به، ولم يرد سبحانه أنّ أصحاب القبور لا يسمعون شيئاً البته، كيف وقد أخبر النبيصلى الله عليه و آله أنّهم يسمعون خفق نعال المشيّعين، وأخبر أنّ قتلى بدر سمعوا كلامه وخطابه، وشرع السلام عليهم بصيغة الخطاب للحاضر الذى يسمع، وأخبر أنّ من سلّم على أخيه المؤمن ردّ عليه السلام.

وقال أيضاً: هذه الآية نظير قوله: «إِنَّكَ لا تُسْمِعُ المَوتى ولا تُسمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ إذا ولَّوْا مُدبِرينَ» وقد يقال: نفى إسماع الصم، مع نفى إسماع الموتى، يدل على أنّ المراد عدم أهلية كل منهما للسماع، وأنّ قلوب هؤلاء لما كانت ميتةًصماً، كان إسماعها ممتنعاً وبمنزلة خطاب الميت والأصم، وهذا حقّ، ولكن لا ينفى إسماع الأرواح بعد الموت، إسماع توبيخ وتقريع بواسطة تعلّقها بالأبدان فى وقتٍ مّا، فهذا غير الإسماع المنفى «(۱)».

الشبهة الرابعة:

دلّت السنّة على أنّ الإنسان ينقطع عملُه بعد موتهِ إلّاعن أُمور ثلاثة: إذ يقولصلى الله عليه و آله:

«إذا ماتَ الإنسان انقطع عملُه إلّامن ثلاث:صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ يُنتفع به، أو ولدٍصالح يدعو له» وليس عمل الغير أحد هذهِ الأمور الثلاثة، فلا ينتفع به.

يلاحظ عليه:

إن الحديث يدل على أنّ عمل الإنسان ينقطع بموته إلّاعن

۱- ابن القيم: الروح/ ۴۵-/ ۴۶.

ص:۹۳

ثلاثـة، ولا يدل على أنه لا ينتفع بشـيء من غير هذه الثلاثة، وكم فرق بين القول بالإنقطاع وعدم الإنتفاع، فإن الأوّل ناظر إلى الأعمال التى يقوم بها الإنسان فى حال حياته، فإنها تنقطع بالموت بالضرورة إلّاما كان له وجود استمرارى كالأمور الثلاثة، وأما الثانى فهو تعبير أعمّ مّما يقوم به الإنسان بنفسه، أو يقوم به الغير، فلا ينفى الحديث إنتفاع الإنسان بعمل قام به الغير وأهدى ثوابَه إليه.

بعبارة أُخرى: الموضوع فى الحديث هو الأعمال التى للإنسان فيها دور مباشر، أو تسبيباً كالولد، وأَمّا الأعمال الخارجة عن هذا الإطار، التى ليست للإنسان فيها أية مدخلية إلّابايجاد الأرضية الصالحة فهى خارجه عن موضوع الحديث.

الشبهه الخامسة:

الحوالـة إنمـا تكون بحق لازم، وهى تتحقق فى حوالـة المخلوق على المخلوق، وإمـا حوالـة المخلوق على الخالق فأمر آخر، لا يصـح قياسه على حوالة العبيد بعضهم على بعض.

الجواب: إن هـذا الموقف وهـذا الكلام إجتهـاد فى مقابـل النص، فقـد تضافرت الأدلـة على أنّ الميت ينتفع بعمل الحى، وقـد عرفت نصوصه كتاباً وسنة، وبعد هذا فما معنى هذا الإستدلال؟

أضف إليه أنه ليس هناك حوالة مخلوق على الخالق، وإنما هو امتثال لأمره سـبحانه بأن نسـتغفر للمؤمنين ونصوم ونصلى عنهم ونحجّ وننحر عنهم، وإنا لو فعلنا ذلك لانتفع الأموات، ونحن نقوم بذلك حَسب أمر النبى، وليس هناك حوالة مخلوق على اللّه.

ص:۹۴

هَبْ أنّ الثواب على العمل تفضلى لا استحقاقى وله سبحانه أن لا يعطى شيئاً للعامل، ولكنه سبحانه تفضّل وجعل ثواباً على العّمل ثم رخص فى أن يؤتى العمل بنيهٔ الميت ومن جانبه وإنه سيصل إليه الثواب، بل وتبرأ ذمته، فلاـ يصح لنا اللجاج والعناد فى مقابل النصوص تعصباً للمنهج.

الشهبهٔ السادسهٔ:

إنّ العبادات على قسمين: قسم يمكن فيه النيابهٔ كالصدقهٔ والحج، وقسم لا يمكن فيه النيابهٔ كالإسلام والصلاهٔ وقراءهٔ القرآن والصيام، فهذا النوع يختصّ ثوابه بفاعله لا يتعداه ولا ينتقل عنه لغيره.

والجواب: إن هذا أيضاً اجتهاد فى مقابل النص، فما الدّليل على هذه التفرقهٔ وقد شرّع النبى الصومَ عن الميتِ مع أنّ الصوم لا تدخله النيابهٔ، واللّه الذى وعد الثواب للحج والصدقهٔ والعتق يتفضّل بايصال ثوابَ الصيام والصلاهٔ والقراءهٔ وغيرها مما يصح أن يفعله الغير تبرعاً إلى الميت.

وماذا تقولون فى قوله صلى الله عليه و آله: «من مات وعليهصيامصام عنه أبيه» وهو حديثصحيح.

وقال البيهقى: قد ثبت جواز القضاء عن الميت بروايهٔ سعيد بن جبير، ومجاهد، وعطاء، وعكرمهٔ، عن ابن عباس، وفى روايهٔ بعضهم: «صومى عن أُمّك».

وقد روى أبو بكر بن أبى شيبهٔ عن ابن عباس: جاء رجل إلى النبى فقال: يا رسول اللّه إنّ أُمّى ماتت، وعليهاصيام شهر أفَأَقْضِى عنها؟ فقال

ص:۹۵

النبی صلی الله علیه و آله: «لو کان علیها دین أکنتَ قاضیه عنها؟» قال: نعم، قال: «فدین اللَّه أحق أنْ یُقضی».

وأخرج أصحاب السنن، وابن حبان، والحاکم فی المستدرک، والبیهقی فی «الشعب» والإمام أحمد عنه صلی الله علیه و آله: «یس قلب القرآن ولا یقرأُها رجل یرید اللَّه والدار الآخرة إلّاغفر له واقرأوها عند موتاکم».

وروی البیهقی: أنّ ابن عمر استحب أن یقرأ علی القبر بعد الدفن أول سورة البقرة وخاتمتها.

الشبهة السابعة:

إنّ اللام فی قولهم: هذا للنبی أو للإمام أو للولی أو للوالد، هو نفس اللام الموجودة فی قولنا: نذرت للَّه، أو للَّه‌علّی.

وعلی ذلک إن النذر للأموات شرک وعبادة لهم، بحجة اشتراک العملین فی الصورة.

ولکن المتوهم غفل عن اختلاف معنی اللام فی الموردین: فاللام فی قوله هـذا للنبی، نفس اللام الوارد فی قوله تعالی: «إنما الصدقاتُ للفقراء والمساکین ...» (التوبة/ ۶۰) ویختلف معناها مع الموجود فی قوله:

«ربِّ إنّی نذرتُ لکَ مافی بطنی محَّرراً» (آل عمران/ ۳۵)، فإن اللام فیه للغایة، وبین المعنیین بون بعید، والذی یضفی علی العمل لون العبادة کون الشخص هو الغایة والمقصد لا المهدی إلیه.

ثم یجب أن لاـ نحصـر جواز إهـداء الثواب فی الأعمال المـذکورة فی الروایات، بل نعمّم الجواز بحیث یشـمل جمیع الأعمال، وذلک بالغاء الخصوصیة، فکما یجوز إهداء ثواب الصدقة والحج والعتق

ص:۹۶

یجوز إهداء ثواب قراءة القرآن إلی الموتی.

خاصة وأنّ هناک أحادیث مرویة عن أهل البیت علیهم السلام جوّزت مثل هذا العمل، وسوّغت إهداء ثواب قراءة القرآن إلی المیت، وصرّحت بوصوله إلیه وانتفاعهِ به، فلماذا یترک رأی أهل البیت علیهم السلام ویکتفی بقول أحد أئمة المذاهب الأربعة؟!

أفلا ینبغی الرجوع إلی قول أهل البیت علیهم السلام إلی جنب أقوال أئمة المذاهب الأربعة علی قدم المساواة؟!

وأظن إن للقوم وراء هـذا الإنکار أهدافاً خطیرة، وهو: أن القول بعدم انتفاع الموتی من عمل الأحیاء ذریعة لانکار حیاتهم، وبالتالی إن الأنبیاء والأولیاء أموات لا ینتفعون بشیء مما یقدم إلیهم من أحبائهم وشیعتهم.

فإذا کانوا کذلک فما معنی التوسل والإستغاثة بهم وندائهم؟

بحث فی النذور:

قـد تفضـل رسول اللّهصـلی الله علیه و آله فضـحّی عن أُمته أَحیاءً وأَمواتاً وضـحّی الصـحابة والتابعون عن نبیهم، فقـد أخرج ابن ماجة وعبد الرزاق وغیرهما عن عائشة وأبی هریرة: أن النبی (ص) کان إذا أراد أن یُضـحِّی اشتری کبشـین عظیمین سـمینین أقرنین ... فذبح أحدهما عن محمّدٍ وآل محمّد والآخر عن أُمته من شهد للّهبالتوحید وله بالبلاغ.

وأخرج أحمد وأبو داود والترمذی: أن النبی ذبح بیده وقال:

«اللّهمّ هذا عنّی وعمن لم یُضحِّ من أُمتی» وصریح ذلک وصول الثواب إلیهم وانتفاعهم.

ص:۹۷

روى أبو داود بسنده فى باب الأضحية عن الميت، عن على بن أبى طالب: إنه كان يضحى عن النبى بكبش وكان يقول: «أوصانى أن أُضحى عنه فأنا أُضحى عنه» «(۱)».

ما يترتب على هذا الأصل:

ويترتب على هذا الأصلصحة عمل المسلمين، حيث يقدمون بأعمال حسنةصالحة، وربما أهدوا ثوابها إلى أحبائهم واعزّتهم الموتى، وهو أمر يوافق عليه الكتاب والسنة، بلصرّحا به تصريحاً.

فما يقوم به المسلمون لموتاهم من إهداء ثواب الأعمال الصالحة لهم، أو ما يفعلونه عند قبور الأنبياء والأولياء من إطعام الطعام، وتسبيل الماء بنيّة أن يصل ثوابُها إليهم إنّما يقتدون فيها بسعد بن عبادة الذى سأل النبى عن حكم الصدقة عن أمّه أينفعها؟ فقالصلى الله عليه و آله: «نعم»، فقال: فأىّ الصدقة أفضل؟ قال: «الماء»، فحفر بئراً، وقال: هذه لأُم سعدٍ.

فهم فى هذا سعديون لا وثنيون، لا يريدون عبادة الموتى، بل يريدون إيصال الثواب إليهم كما فعل سعد.

وآخر دعوانا أن الحمد للّهربّ العالمين

۱- سنن ابى داود ج ۲: كتاب الضحايا.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلّامة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة" للتحرّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشّباب و عموم الناس إلی التّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَی.

– من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المكتب الرّئيسيّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹